

منصور بختي محمور

منصور بختي محمور

فلسفة الثورة: رؤية من واقع المجتمع الجزائري

الطبعة الثانية



فلسفة الثورة

طبعة مزيده ومنقحة

رؤية من واقع
المجتمع الجزائري
لتأسيس

«الجمهورية الجديدة»

أنت تعيش الثورة أم أنك متعة وإفادة من الكتابة عنها

«فلسفة الثورة:
رؤية من واقع المجتمع
الجزائري لتأسيس الجمهورية
الجديدة» الكتاب الذي صنف كأول
كتاب تنظيري في الفلسفة السياسية
والتاريخ عن الحراك الشعبي والثورة
السلمية في الجزائر أو ما يعرف بـ
«حراك 22 فيفري»

يمثل «فلسفة الثورة» الرؤية الفلسفية لحركة التاريخ
السياسي والاجتماعي في الجزائر بما حمله من نظرة استشرافية
لكل ما حدث ويحدث منها «حراك 22 فيفري» بحيث كان
الورقات الوحيمة التي كشفت بوضوح كل ما جرى وراء
كواليس التفكير الفردي والجماعي في الجزائر وخارجها من
خلال ما قصمه المؤلف من تحليلات وتصورات وحلول لأزمات
مقصومة تهدف إلى التحرك في الوعي الجماعي للشعب
الجزائري.

منصور بختي محمور

(لغات الدرس مع التفسير الصيغ)



منشورات زنتة الشهب

الطبعة الثانية

منشورات زنتة الشهب
Zakhat-achohob



منصور بختي محمور

منصور بختي محمور

فلسفة الثورة: رؤية من واقم المجتمع الجزائري

الطبعة الثانية

فلسفة الثورة

طبعة مزيدة ومنقحة



رؤية من واقم
المجتمع الجزائري
لتأسيس
«الجمهورية الجديدة»

أمر تعيس الثورة أمر أكثر شجاعة وإفادة من الكتابة عنها

منشورات زخمة الشهب
Zakhat-achohob



أول كتاب استشرافي عن حراك 22 فيفري 2019 والثورة السلمية في الجزائر وما
جرى بعد ذلك من أحداث والذي يعدّ كدليل للثورات العربية الجديدة
(هدية إلى الشعوب المستضعفة)

فلسفة الثورة

رؤية من واقع المجتمع الجزائري لتأسيس الجمهورية الجديدة
مرحلة ما قبل التأسيس

تأليف:

منصور بختي دحمور

فلسفة الثورة

رؤية من واقع المجتمع الجزائري للتأسيس
الجمهورية الجديدة

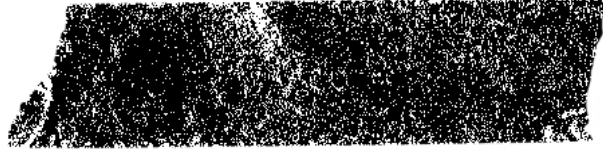
فلسفة الثورة

أول كتاب استشرافي عن حراك 22 فيفري 2019 والثورة السلمية في الجزائر
دليل الثورات الواعية

فلسفة الثورة: رؤية من واقع المجتمع الجزائري لتأسيس الجمهورية الجديدة

(مرحلة ما قبل التأسيس)

تأليف: منصور بختي دحمور



منشورات زخة الشهب للنشر الإلكتروني

الطبعة: الثانية/ إبريل 2020 م / شعبان 1441 هـ

البريد الإلكتروني لمنشورات زخة الشهب:

E-mail: zakhat.achohob@gmail.com

مقياس الكتاب: 21 × 14

عدد الصفحات: 190

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الأراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن آراء الناشر



فلسفة الثورة

رؤية من واقع المجتمع الجزائري لتأسيس الجمهورية الجديدة
مرحلة ما قبل التأسيس

تأليف:

منصور بختي دحمور

أول كتاب استشرافي

**عن حراك 22 فيفري 2019 والثورة السامية في الجزائر وما جرى بعد ذلك من أحداث
وكشف مخطط الصهيونية في إثارة الفتنة والنزاع الداخلي
وأول كتاب تكلم عن ثورات جديدة في الوطن العربي والإسلامي وأوروبا وأمريكا
وقيام كومونولث إسلامي خلال السنوات القادمة بإذن الله**

الفهرس

- 17.....توضيح حول تغيير العنوان
- 27.....تقديم الطبعة الثانية
- 35.....كلمة لابء منها
- 41.....مقدمة
- 51.....الانتفاضة الشعبية وتغير الذهنيات
- 71.....الثوار الجءء وصراع الأءيال
- 76.....الظروف السوسيوآاريخية وصناعة الثورة
- 95.....الثورة الذاتية والثورة الموجهة
- 115.....الثورة الشعبية وثورة الأشخاص
- 137.....الهوية الوطنية في مواجهة الهويات
- 153.....وهم الإيدولوجيا في الثورة الشعبية
- 167.....الثورة الشعبية وسقوط الأنظمة
- 185.....خاتمة

ترخيص من المؤلف

يرخص المؤلف بمقتضى حقوقه في التأليف والملكية الكاملة للكتاب لأي ناشر أو دار نشر ورقية كانت أو إلكترونية داخل الجزائر أو خارجها بنشر هذا الكتاب بصفة ورقية أو إلكترونية أو صوتية بدون طلب الإذن منه شريطة عدم التصرف في الأفكار والعبارات بزيادة أو نقصان وأي إخلال بالشرط المذكور يتحمل الناشر المخل بذلك مسؤوليته الكاملة أمام القانون.

المؤلف: منصور بختي دحمور

للشعب والتاريخ

نحن سننتصر لأننا نمثّل قوة المستقبل الزّاهر، و أما أنتم فستهزمون، لأنّكم تريدون وقف عجلة التاريخ الذي سيسحقكم، لأنكم تريدون التثبيت بماض استعماري متعفنّ حكم عليه العصر بالزّوال، ولئن متّ فإنّ هناك آلاف الجزائريين سيأتون بعدي لمواصلة الكفاح من أجل عقيدتنا.

الشهيد العربي بن مهدي

رحمه الله

إهداء

أهدي هذه المجموعة من المقالات...

إلى الشعوب المستضعفة في الأرض..

إلى شهداء التحرر والحرية..

إلى الحراك الشعبي والنهضويين في الجزائر..

إلى شهداء الحرية والحراك السلمي في الوطن العربي والإسلامي..

إلى الطائفة الظاهرة على الحق.. لن يضركم من خذلكم.. وسيأتي أمر الله..

إلى أخي رابع..

الذي دافع عن الوطن مجاهدا في صفوف القوات الخاصة تحت لواء

الجيش الشعبي الوطني منذ 1992 إلى غاية 1999 ضد الجماعات

الإرهابية وهُضم حقه بسبب العصابة وتوفي وهو ينتظر التغيير..

منصور بختي دحمور



أخي رابع دحمور بالزبي العسكري "القوات الخاصة" أيام العشرية السوداء رحمه الله تعالى
(ولاية سعيدة)



أخي رابح دحمور بالزري العسكري "القوات الخاصة" أيام العشرية السوداء رحمه الله تعالى
رفقة أحد أصدقائه
(جبال أم البواقي)

توضیح حول تغییر العنوان

لقد سعدت كثيرا بالإقبال على كتابي هذا في طبعته الأولى، ولاسيما وأنني كنت أرجو أن يكون جزءا من سلسلة جهود كثيرة حاولت وتحاول الحفاظ على البناء الاجتماعي للجزائر، ومحاوله بسيطة مني لتوضيح الكثير من النقاط الواجب ذكرها حول لزوم الوحدة ونفي الإيديولوجيات والحفاظ على الهوية الوطنية والحذر من سيناريوهات تحاول تقسيم الشعوب وبت الفتن.

ولعل أبرز ما في هذه الطبعة هو تغيير عبارة "الجمهورية الثانية" بـ "الجمهورية الجديدة" في العنوان، وليس الأمر بالنسبة لي بتلك الأهمية التي تم الكلام عنها في

الشهور الماضية ذلك أن المصطلح من شروطه الشيوع والاتفاق ولما كان كتابنا هذا "فلسفة الثورة" أول كتاب صدر عن الحراك الشعبي السلمي بحيث لم يكن مصطلح "الجمهورية الجديدة" شائعا في الاصطلاح الدولي بعد.

كما أنني أردت حينها التفريق بين مرحلتين هامتين من التاريخ الجزائري الذي نعيشه فوجب حينها التفريق بمصطلح يوضح وجود الفرق، وأقصد بذلك مرحلة "الشرعية الثورة" ومرحلة "الشرعية الدستورية" بحيث كانت البلاد في صدد انتقال تاريخي كبير بين عهدين مخالفين لبعضهما من أجل بناء دولة ذات شرعية دستورية لأجيال الاستقلال الوطني بعد الشرعية الثورية التي حكمت البلاد منذ الاستقلال، الأمر الذي تحدثنا عنه في هذا الكتاب.

يجدر بي هنا أن أوضح أنني قد تحدثت عن مصطلحي "الجمهورية الجديدة" و"الجمهورية الثانية" في وقته¹ في بعض الصحف والمواقع في خضم حديثي عن الأسطورة الشعبية التي طالما سمعناها ونحن صغار والتي

¹ - نشر المقال بعد شهر من صدور الكتاب في العيد من المواقع في: 04 ماي 2019.

تقول: "بَدَاتُ بَأَ أَحْمَدُ وَتَكْمَلُ بَأَ أَحْمَدُ" حيث قلت:

"هناك ما يشبه الصراع الفكري حول مسمى الجمهورية التي يريد المجتمع (الشعب) الجزائري أن يؤسسها من خلال المظاهرات والحراك السلمي اليوم في البلاد بين من يسميها بـ الجمهورية الثانية، ومن يسميها الجمهورية الجديدة، ولكن المهم في الأمر هو قيام جمهورية واعية تتمتع بالسيادة المطلقة وتكفل مبادئ:

الحرية والعدل والمساواة

وقلنا في كتابنا "فلسفة الثورة" الذي صدر أوائل شهر أفريل من هذه السنة² ووسط الحراك الشعبي أن الجمهورية التي يريدونها الشعب تعد جمهورية حتمية ستؤسس عن طريق الإرادة الشعبية التي تصنع التاريخ ما يعطينا فكرة أن تغيير النظام سيكون حتمية تاريخية بمجرد الحفاظ على الثورة وعدم السماح بتوجيهها".

ولعلي أضيف هنا قائلاً أن الشعب قد تواطأ على مسمى الجمهورية الجديدة لشيء وحيد هو مخالفة

² - وهو كتابنا هذا في إصداره الأول من سنة 2019 في خضم الحراك الشعبي الجزائري السلمي.

الاصطلاح الاستعماري في فرنسا من تسميتها
جمهوريةها المزعومة بالجمهورية الأولى والثانية والثالثة
وغير ذلك، وهذا ما يوضح بشكل لا ريب فيه القطيعة
التامة التي أحدثها الشعب الجزائري ضد الاستعمار
الكلاسيكي والجديد وهو ما يجب أن تسير على دربه
جميع الأوطان العربية والإسلامية للتخلص من الإرث
الاستعماري الذي يثقل كواهلها ويرهق شعوبها
المستضعفة التي لا تطمح إلا لبناء وطن عادل واع
مواكب للحدث الحضاري.

كما أنتهز الفرصة هنا بجديتي عن تلك الأسطورة
التي تقول: "بَدَاتْ بـ أَحْمَدُ وَتَكْمَلُ بـ أَحْمَدُ"، ذلك
أنني قلت في نفس المقال ذلك أن البلاد تنتظر احتمالين
اثنين فقلت:

"إن محاولة قراءة بعض الأفكار الشعبية حول ما يتصوره البعض من تلك
النهاية تجعلنا نتوقع سيناريوهين يردان على العقل العام للمجتمع
الجزائري وهما:

• أن الجزائر في خطر وشيك وأن وصول هذه الشخصية الأسطورية
إلى دوايب السلطة سينتهي بكارثة تهدد البلاد وهذا ما يفسر خوف
المجتمع الجزائري من أسطورة "أحمد".

• أن الجزائر ستدخل مرحلة مغايرة تماما لما قبلها بحيث سيكون التأسيس لجمهورية ثانية أو جمهورية جديدة تنتهي عندها ما يسمى بالشرعية الثورية وبالتالي تدخل البلاد في مرحلة الشرعية الدستورية على يد هذه الشخصية الأسطورية".

وعلى الرغم من ذكرنا لعدة شخصيات تحمل ذلك الاسم، إلا أن الواقع على قدر غموضه حينها قد تجلّى بشكل واضح اليوم ليعطينا صورة واضحة أن تلك الشخصية الأسطورية³ لم تكن أحمد طالب الإبراهيمي الذي نادى بالمرحلة الانتقالية والتي توجس الشعب

³ - هذا مجرد استقراء للذهنية الشعبية فلا يجب أخذه ك رأي علمي، وإنما هو محاولة لقراءة المجتمع لا للاستدلال بالأساطير الشعبية على واقع ملموس، ذلك أن الموروث التاريخي الأسطوري التي تحمله الذاكرة الشعبية إنما يعبر عن توجهات و يقينيات وتصورات ذلك المجتمع ولهذا كثيرا ما نرى الاسقاطات اليقينية للذهنية الشعبية لبعض الحكايات والنبوءات أو ما يسمى بالنشد أو النجد على الواقع المعيش وبالتالي لا انفصال للعقلية الاجتماعية عن موروثها ولو من قبيل الاستئناس وإثارة الدهشة الشعبية و فقط ومن هنا نجد الاهتمام الكثير لعلماء الاجتماع والثقافة الشعبية بهذه المواضيع.

الجزائري منها خوفاً، نتيجة قراءته لمجريات ما حدث في دول أخرى، وإنما تمثلت تلك الأسطورة في قائد الأركان الفريق أحمد قايد صالح الذي سرعان ما انتهى دوره بمجرد الإعلان عن نتائج انتخابات 12 ديسمبر 2019، وكأن الأسطورة قد أشارت بشكل دراماتيكي إلى نهاية جمهورية وبداية جمهورية جديدة.

غير أن ما لا بد منه في هذه الفترة هو صناعة الوعي السياسي المدرج تحت فكرة صناعة دولة لا تزول بزوال الرجال، أي عدم ربط المصير الشعبي بشخصيات من الممكن في أي لحظة افتقادها وبالتالي فما يجب العمل عليه هو تغيير الذهنية الاجتماعية عما كانت عليه من الولاء للأشخاص إلى ذهنية الولاء للفكرة والمجتمع والدولة بفعل أن الدولة لا تمثل إلا شعبها فقط.

ليس المهم أن نضع الموروث الشعبي على الواقع لتفسير ذهنية المجتمع، ذلك أن عمل ما يجب أن يكون هو أساس البناء الحضاري، لا انتظار ما يمكن أن يكون استناداً على موروث شعبي، ولكن المهم اليوم هو العمل على تحقيق ما نادى به الشعب في ثورته ضد الاستبداد والفساد من أجل بناء وطن قائم على مبادئ:

الحرية والعدل والمساواة

بعبارة أخرى، ما يجب أن يُصنع هو التأسيس لدولة
بومدينيّة عادلة لا تزول بزوال الرجال، ومجتمع واع بما
هو ملقى على عاتقه من بناء حضارة إنسانية نادى بها
مالك بن نبي.

منصور بفتي دكتور - 01 / 01 / 2020

تقديم الطبعة الثانية

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾

وبعد:

بكل صراحة؛ لم أكن أتوقع أن أرى ما كتبه في "فلسفة الثورة" من تحليلات وتوقعات واحترافات على أرض الواقع المعيش والملاحظ في الجزائر ولا حتى في بعض الأوطان العربية التي انتفضت ضد الظلم والقهر والاستبداد، كما لم أكن أتوقع أن يكون "فلسفة الثورة" محط نظر الأكاديميين وطلبة العلم في مجالات التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع لمحاولة فهم ذهنية المجتمع الجزائري وغيره من المجتمعات العربية قياسا عليه،

ودراسة التاريخ الاجتماعي الذي صنع الأوضاع
الراهنة، والنظر في التوقعات التي تحققت والتي لم تنزل
بعد في مسير الكثير من الأوطان إلى الحتمية التاريخية
التي أراها واقعا لا بد منه.

كما أنني لم أتوقع أن تكون انتفاضتي ضد النخبة
والتي كنت أجد لها مبررات واقعية تجسد حقيقتها أن
تصنع نوعا من الثورة وإن كان صغيرا جدا من وجهة
نظري الخاصة يعين الشعب على كتابة تاريخه من جديد.

لقد أسعدني كثيرا ما رأيته من كتابات لبعض
النخب من مؤرخين وسوسيولوجيين وأساتذة الفلسفة
والسياسة ورجالات الإعلام والمخضرمين من السياسة
البعيدون منذ عقود عن دوايب السلطة وهم يحاولون
القيام بشيء يساهم في بناء الوطن والمحافظة على الإرث
التاريخي للأمة من خلال ما خطته وتخطه أناملهم من
كلمات عن الثورة السلمية في الجزائر والحراك الشعبي
الذي انتفضت بعده الشعوب العربية في السودان
ومصر ولبنان والعراق والثورة الواعية التي قام بها
الشعب التونسي لبناء جمهوريته العادلة، كما قلنا قبل ما
يقارب السنة من اليوم خلال صدور الطبعة الأولى من

هذا الكتاب.

كما يحزّ في نفسي ما جرى ويجري لبعض الشعوب العربية من اضطهاد واستبداد وخطرسة تمثل نوعاً من الإرهاب السلطوي المنظم في سبيل بناء حاجز الخوف بين الشعوب والسلطة لا لشيء إلا لأن الشعوب تريد إصلاح المستقبل لا الانتقام للماضي، فمن الصعب أن ندخل في دوامة القمع في عصر الثورات البيضاء.

إن مرحلة الوعي التي وصل إليها الإنسان في وطننا هي السراج الذي غنمته الإنسانية في النهضة التي نعيشها، والتي لا بد من التكاتف كمجتمعات واسعة من أجل الوصول إلى الإرادة الشعبية، لا بد من العمل على صناعة حراك متنوع وثورات عديدة تحت مسمى الثورة الواحدة، لا بد من ثورة على المعرفة، وثورة على الغزو الفكري، وثورة على الفساد، وثورة على التبعية، وثورة على التطرف، وثورة على الطائفية، وثورة على الأمية، وثورة على من يكسر الأدمغة المفكرة، وثورة على الأحقاد، وثورة على الرشوة، وثورة على المحسوبية، لا بد من الثورة على أي ظاهرة تهدد الإنسان والتاريخ.

لابد من الثورة على الكذب، ولعلي هنا أتكلم
بشيء من اللاموضوعية في وجهة نظري حول ما يسمى
بالأزمة السياسية في الجزائر، فقد صرحت في هذا
الكتاب منذ بداية الحراك الشعبي أن الأزمة في الجزائر
أزمات كثيرة، ولكنني أردت الكلام عن أصل الأزمة
التي صنعها عدم الوعي بالذات والمجتمع، لقد قلت من
قبل ولم أزل أقول أن الأزمة في الجزائر أزمة دستورية،
إنها أزمة رأس هرم الدولة وهي نفس الأزمة التي تعيشها
كل الأوطان العربية.

إن الدستور الذي خاطته الأنظمة المستبدية على
مقاسها من قبل هو ما صنع الأزمات السياسية على
شاكله الجزائر حيث أدى ذلك إلى صناعة أزمات
اقتصادية فجّرت بدورها أزمات أخرى اجتماعية
وذهنية ومعرفية، فمن قال أن الأزمة سياسية بحتة فإنه
يعني بذلك أن طريقة الحكم لابد أن تبقى كما هي عليه
وأنا لسنا في حاجة إلى بناء جمهورية عادلة.

نحن نعيش أزمة دستورية لابد من الإجماع على
حلّها بشكل يفتح المجال على مصراعيه للمشاركة في
حل الأزمات الأخرى عن طريق الإجماع الشعبي

والمشاركة الشمولية في بناء الجمهورية الحقيقية التي يحلم
بها الحراك وتنشدها الشعوب:

حرية . عدل . مساواة

ما لا بد منه اليوم هو التكاتف وصناعة وعي
وذهنية جديدة قوامها حرية التعبير وقبول الرأي الآخر
ونبذ أي شيء يمكن أن يهدد الأوطان من داخلها أو
خارجها، ما لا بد منه اليوم هو إنهاء خدمة مصالح
الأشخاص، بحيث يجب العمل على صناعة فكر جديد
يؤسس لقيام ثورة إسلامية في الفكر والاقتصاد
والزراعة أو ما يسمى بـ: العمران الإنساني.

ولعلي أضيف هنا شيئاً يعث على الأمل اليقيني،
وهو أن الشعوب العربية والإسلامية وفي ظرف وجيز
جدا صنعتها الشعوب نفسها قد صارت بكل وعي على
استعداد تام لقبول الحتمية التاريخية أي: على استعداد
للتأسيس لما سميته من قبل بـ:

الجمهوريات العادلة

كما أنها تحمل قابلية تامة للتأسيس لـ:

كومونيلث إسلامي

أرى ذلك كحتمية تاريخية لا احتمال لنقضها، إن لم أقل أن الشعوب تحمل اليوم فكرا جديدا ومفهوما آخر لنظام الحكم سنشهد به شكل حتمي خلال السنوات القليلة المقبلة.

ما ينقص الشعوب اليوم هو القيادة الراشدة لأنظمة الحكم فقط، أو بعبارة أخرى على أفكارنا اليوم أن تفتح على أنظمة حكم جديدة ونظريات سياسية هدفها الوحيد هو: بناء الحضارة.

ولعل أكثر شيء يسعدني في هذه المرحلة هو بداية نهاية عصر الإيديولوجيا الإقصائية وإعلان موت الطائفية والعرقية، غير أننا سنكون أمام ردة فعل قوية ستحاول إعادة كل ذلك.

لسنا في حاجة إلا إلى شيء واحد هو: الاستفادة من الماضي والوعي بالحاضر والعمل لأجل المستقبل.

منصور بفتي دكتور - 26 / 11 / 2019

كلمة لا بد منها

لعل الحتمية التاريخية التي يسير إليها العالم اليوم
كما قلنا في الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وكما قال
كبار رجال السياسة في الغرب هو أنّ العالم يسير بسرعة
رهيبة نحو نظام عالمي جديد، في صورة لم تتشكل بعد
وإن ظهرت رتوشاتها.

كما أنّ الحتمية التاريخية ستسوق إلى عالم مغاير
تماما لما كان عليه، بجيشة صعود قوى دولية جديدة مما
قد يقود العالم إلى حتمية صراع دولي جديد قد يشعل
حربا عالمية ثالثة تحاول بها بعض القوى استنقاذ ما يجب
استنقاذه من هيمنتها العسكرية والاقتصادية.

لست هنا للحديث عن نظرية المؤامرة التي نؤم بها
كمسلمين كحقيقة واقعة لا مجال للنقاش حولها⁴، كما
لست أتحدث عن كون الكورونا مؤامرة ولا عن السبب
وراءها انطلاقاً من إيماننا كمسلمين بعقيدة خلق أفعال
العباد وأن ما هو كائن لم يكن ليكون لولا المشيئة
الإلهية.

كما أقول انطلاقاً من عقيدة ثابتة سواء كان الأمر
مؤامرة فعلية أو مجرد ما يُسمى صدفة طبيعية أن العالم لن
يُساق إلا إلى حتمية تاريخية توجد واقعها المجهول في
سيرورة التاريخ وجودها معلوماً بالضرورة بالنسبة إلى
الكثيرين.

ما يجدر التنبيه عليه هو أن جائحة الكوفيد-19
وما ينجر عنها من حرب بيولوجية ستسوق حتماً إلى
نوع جديد من الحروب العالمية ومرحلة جديدة من الهيمنة
نُجبر على شيئين اثنين لا ثالث لهما:
إما أن تخدم نفسك بنفسك.

⁴ - استناداً على الكثير من الآيات القرآنية التي تثبت وجود
مؤامرة ممتدة عبر التاريخ البشري.

وإما أن تكون جزءا من العبيد.

لأن العالم يسير نحو نوع جديد من الهيمنة العسكرية والاقتصادية والثقافية وهو ما سميناه في كتابنا هذا بـ "الامبريالية الجديدة".

وبالتالي فنحن في مرحلة خطيرة، قد تعتبر فاصلة بين مرحلتين كبيرين من التاريخ البشري، ستتجرّ العالم إلى مفاهيم أخرى تصنع عالما جديدا مليئا بالصراع من أجل الهيمنة إن لم يكن من أجل البقاء في حدّ ذاته، خاصة وأنها ستسفر عن فكر جديد سيشعل ثورة معرفية وتحريرية وحضارية مشابهة تماما لفترة بروز المشروع الماركسي، ما يؤذن بفرضية ظهور صراع محتمل قد يصل إلى الصراع الدولي بين الدول التي تتبنى هذا الفكر الجديد وبين ما أسميه بالامبريالية الجديدة.

علينا أن نعلم أن الحقائق ستتكشف وأن الأمور ستكون على الطاولة وعلى غير المتوقع تماما مما كنا عليه قبل هذه المرحلة، ولعل هذا ما سينتج يسارا جديدا وثورة عالمية شاملة ضد هذه الهيمنة، لاسيما وأنها ستكز أساسا على المنطقة العربية والإسلامية، وبالتالي فالعالم

العربي أمام تحدّ صعب ومنعرج خطير في التاريخ المعاصر،
إما أن يكون عبدا، وإما أن يصنع العدل.

على أن ما لم يفهمه الكثيرون هو أن العالم
الإسلامي خلال مرحلة الجائحة هذه سيكون في خضم
"العزلة الفكرية" حيث ستكون الشعوب في مرحلة نقاهة
مفاجئة لكل ما هو متوقع، لأن الفكر الغربي قد فصل
تماما بين عقلية الشخصيات العميلة والتي تمثل
الحكومات العربية، وبين العقلية الجماعية الشعبية،
ففي حين يتوقع أن يكون عملاؤه قد سيطروا على
شعوبهم سيكون أولئك العملاء مفجر صمام الأمان
نتيجة سياساتهم.

وعلى الأساس فقد قلنا أن العالم على أبواب فكر
جديد قد يصنع نظاما عالميا جديدا أساسه أخلقة الفعل
البشري وبالتالي نهاية الحداثة ودمار ما بعد الحداثة.

منصور بفتي دكتور - 18/04/2020

مقدمة

"مجال أن يتحرر بدن يحمل
عقلاً عبداً"

الإمام ابن باديس

كثيرا ما كنت أتساءل عن السر في تسلط الحكام
على شعوبهم من جهة الحاكم الذي يستبد برأيه
وفعله ومن جهة الشعب الذي يخضع لتلك الإرادة.

- كيف يشعر الحاكم بكونه شريفا وهو كذلك،
وكيف تشعر الشعوب بتواطئها في ذلك؟
- من الذي يصنع التاريخ؟ المستبد أو المستضعفون
في الأرض؟

"يجب أن ينتهي التاريخ في نقطة ما؛ كي يتجدد في نقطة
جديدة، يجب أن يفشل التاريخ، يجب أن يفلس التاريخ،
وأحيانا يجب أن نعلن الإفلاس كي نشعر الناس جميعا

وخصوصا الشباب بأن هذا الإفلاس طريق البداية، إعلان الإفلاس هو أول خطوة في الطريق الصحيح"، هكذا تعلمنا من الفيلسوف مالك بن نبي الذي ظلمه شعبه واحتظنت فلسفته شعوب أخرى، بكل بساطة، هكذا نبذ الوطن أبناءه بالنفي أحيانا، وبالموت بين أمواج البحر أحيانا كثيرة.

هناك الكثير من الكبت التاريخي في نفوس الشعوب، الكثير من اليأس، والكثير من عدم الراحة، تلك التصورات والمشاعر التي سرعان ما تظهر في صورة أخرى غير الصورة التي عليها وهي داخل نفوس الشعوب، فما يصنعه المخيال الفردي يحققه المخيال الجماعي للمجتمع وفق هندسة أخرى قد تسمى بهندسة العقول، أو هندسة العقل الجماعي.

من بين أهم صور ذلك التاريخ المشترك بين نفسيات أفراد المجتمع والتي تظهر في صور أخرى يحققها المخيال المجتمعي هو ظاهرة الثورة، التي تمثل أصعب حركات التاريخ والتي قد تلغي جميع الهندسات السياسية والاقتصادية والفكرية، بل قد تعيد صناعة هندسة جديدة للعالم ككل، قد تقلب أنظمة للحكم دامت

لقرون، كما قد تغير خريطة العالم وتعيد رسم حدوده الجغرافية.

فلسفة الثورة هي فلسفة الشعوب، وإذا انفكت الفلسفة عن العقل الجمعي للمجتمعات فلا وجود لما يسمى بفلسفة الثورة من الأساس، بمعنى لا وجود لفلسفة الثورة من دون وجود المجتمعات الثائرة، ولعل الأفكار على اتساع نطاق دقتها وغموضها أمام العقل المجتمعي إلا أن الثورة هي الفلسفة الوحيدة التي يتعلمها الأكاديميون والباحثون في المجتمعات الإنسانية من الشعوب نفسها، وبهذا فإن هذه الفلسفة تُدرّس في عمق المجتمع البسيط، في عمق القهر، في عمق الشعب الثائر، وهذا ما يجعلنا نقول أن انتقاد الشعوب في ثورتها ضد الاستبداد ورفض الاستعباد قول بغير علم لأن الناقد للشعوب دون نقده لمن قهر الشعوب منفي من دائرة معاناة المستضعفين، فالثورة تولد من رحم الأزمة بتنظير من يعاني، "فلا يمكنك إشعال ثورة بقفازات من الحرير"⁵.

هكذا كان حراك 22 فبراير في الجزائر لم يُصنع من

5 - جوزيف ستالين.

قفازات من حرير ولا يزال متواصلا في عمق الأزمة التي ولد فيها.

إن الحديث عن الحراك الشعبي في أرض الوطن ليس وليد الفكرة العابرة وإنما هو التاريخ نفسه الذي عاشه ويعيشه الوطن منذ لحظة إعلان الاستقلال الوطني عام 1962، ولعلنا هنا نذكر ما لم يذكره أحد من قبل، خوفا من التهمة أو مسايرة للواقع، فالجزائر تعيش منذ لحظة استقلالها صراعا على ثلاث معان:

- صراع بين مرحلة الثورة ومرحلة الاستقلال حول بناء الدولة ورسم سياستها.
- صراع بين الشرعية الثورية والشرعية الدستورية حول بناء العدل ورسم حقيقته.
- صراع بين الفكر الاستعماري والفكر الحرّ حول بناء المجتمع ورسم هويته.

عندما نستمع إلى الكلمات الأكثر شهرة في بيان ثورة الفاتح من نوفمبر والتي يحفظها الشعب عن ظهر قلب: "إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية"؛ نشعر وكأننا نحن العهد النوفمبري وطوينا كتاب الفكر الثوري

وانقلنا حقيقة من عهد الاستعمار إلى عهد الاستعمار،
ربما لم يكن استدمارا بالمعنى الكلي؛ ولكنه استدمار لثقة
الشهداء وتطلعات الشعب وفرض لتفكير أحادي النظرة
جرّ البلاد إلى مستنقع العشرية السوداء ليوصلنا إلى لحظة
ما لا بد منه، استرجاعا للعهد النوفمبري وكأنني بمن وقع
شاهد التضحية والقضية من شهداء الوطن يقول: "حاولوا
دفننا ولم يعلموا أننا بذور"⁶.

إنّ الحراك الشعبي الذي نعيشه في هذه اللحظات
حتمية تاريخية لسيرورة تاريخنا الوطني، وكما عرفنا
وكشفنا تلك الحقائق حول ما نعيشه من استعمار جديدة
في ثوبه اللامرئي⁷ نتيقن "أن الإستعمار ليس مجرد
عارض، بل هو نتيجة حتمية لانحطاطنا"؛ وهذا ما كان
علينا أن نعيه منذ اللحظة التي تكلم فيها مالك بن نبي
بذلك، لأن البحث عن الحرية بين حطام التاريخ أكبر
مجازفة من التحرر الذي صنعه زعماء الثورة الجزائرية

⁶ - الطبيب الثائر أرنستو تشي جيفارا.

⁷ - وهو الاستعمار التوجيهي الذي سنتكلم عن جانب منه
ونقصد به السيطرة الخارجية على صناعة القرار والتحكم في
اقتصاديات الدول عن طريق منطق صناعة الأزمة.

قبلنا.

في اللحظة التي نادى فيها عمر المختار: "إني أؤمن بحقي في الحرية، وحق بلادي في الحياة، وهذا الإيمان أقوى من كل سلاح"، كان يقصد ذلك الوعي الثوري الذي سقي بالقهر والأزمات، ولعلنا اليوم نعيش ما هو أعظم خطراً من معرفة العدو مباشرة، لأننا كجزائريين وعرب ومسلمين بشكل عام نعيش الأزمة المركبة لتتويجه العقل العام للأمة، بعبارة أخرى نحن نعيش زمن الوهم حيث لا مقدرة لعقولنا فيه أن تفرق بين الحقيقة والخيال، قال فيلسوف الاستعمار نعوم تشومسكي: "باختيار منا؛ يمكننا أن نعيش في عالم من الوهم المريح".

إن التحول من منطق الطبقة السلطوية إلى منطق أن لا سلطة إلا للشعب يعد أكبر عقبة ذهنية يجتازها المجتمع المستضعف بحثاً عن الحق ومعرفة بالواجب، ليدرك كل فرد من ذلك المجتمع أن الثورة ضد الاستبداد وتحرير الوطن من يد الاستعباد الاستعماري أول واجب عليه تجاه وطنه وتجاه نفسه وتجاه صناعة التاريخ؛ فإذا قرأنا المسألة بمزيد نظر علمنا أن أول حق للوطن على شعبه تخليصه من براثن التسلط والاحتلال غير المباشر.

تستلزم صناعة التاريخ صناعة جيل غير مغيب عن الحقائق يخلق وعيا جماعيا بالوطن وقضايا الحرية والعدل والمساواة، "لأن الأمر العام لا يتغير إلا بالعام نفسه أي بالاجتمع ككل"⁸.

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

منصور بفتي رصور - 10 أبريل 2019

⁸ - من مقال للمؤلف بعنوان: "فلسفة الواقع: مالذي تحتاجه الأمة الإسلامية"، صدر شهر أكتوبر 2014، في جرائد وطنية.

الانتفاضة الشعبية وتغير الذهنيات

"يمكنك قتل الثوار لكن لا يمكنك قتل
الثورة"

ماهاتما غاندي

علينا أن نتيقن أن الحركة الجماعية وليدة تغير الذهنيات؛
وعلى هذا فإن صناعة الثورة لابد أن تلزمنا بتغيير
الذهنية الجماعية للشعب، ولفهم هذا علينا أن نفهم أن
المساهم الأول في تغيير الذهنية الجماعية للشعب هو
التاريخ الذي تعيشه كما ستحدث عنه في الفصل الموالي،
ولكن؛ ما يجب معرفته هنا:

- هو الارتباط بين الثورة والشعب؟
- وكيف تكون الشعوب ثائرة؟
- وقبل ذلك كيف يتبنى الشعب كله
الفكر الثوري؟

علما أن الشعب هذا هو مجموعة أفراد لكل منهم عقله وتفكيره، قال فيلسوف الحضارة مالك بن نبي رحمه الله: "لقد غاب عن الأذهان أن الحق ملازم للواجب، وأن الشعب هو الذي يخلق ميثاقه ونظامه الاجتماعي والسياسي الجديد عندما يغير ما في نفسه".

إن العلاقة بين الفرد والجماعة هي تلك العلاقة التي بدأت من إيجاد الفرد وصناعة الجماعة أولاً، بالتالي فلا انفكاك للفرد عن جماعته، ولهذا قيل أنه مدني بطبعه. ليس هذا فقط.

بل يمكننا القول أنه مدني بوجوده، ولهذا فهو لا ينفك عن إنسانيته لأنه يوصف بالإنسانية من حيثية الاجتماع، فهو يكتسب اللغة والتاريخ والقيم والمعارف والممارسات وغير ذلك من مظاهر الإنسان مما حوله، بل إن أصالة التفكير الإنساني والذي تصنعه كل مقومات الهوية في مجتمع ما تشبه مفهوم الذهنية المتجذرة الأصيلة؛ ولا نقصد هنا الذهنية المتغيرة، فالحياة الاجتماعية في وسط مجتمع ما تخلق الذهنية الفردية للإنسان والتي هي بدورها في تكامل تام مع الذهنية الجماعية إذ كل منها تصنع الأخرى وتساهم في إيجادها.

وإذا تكلمنا عن الذهنية كأساس لصناعة الرأي العام
فعلينا أن نفرق بين الذهنية المتجذرة والذهنية المتغيرة.

فالمتجذرة: هي تلك الروح النابعة من الثقة في
التاريخ، ذلك التاريخ الذي يمثل كل المكتسبات.

بينما الذهنية المتغيرة: هي تلك التي يصنعها التاريخ
نفسه من خلال المتغيرات التاريخية ومن خلال المقارنة
بين التواريخ بمعنى تخلق روح النقد الذاتي والجماعي،
كوضع السلبيات والإيجابيات مثلاً ومن هنا تظهر ذهنية
كسر تلك السلبيات لمواصلة الفخر التاريخي؛ حتى داخل
مجتمع ضيق كالعائلة والقبيلة.

فإذا تكلمنا عن الذهنية من جهة الذات والآخر،
فهي مرادفة نوعاً ما للهوية، ولكننا نقتصر هنا عن
الذهنية الفردية والجماعية وهما تكاملتان تساهم كل
منهما في صناعة الأخرى كما قلنا، وأما التأثير فلكل
منهما نسبة في ذلك على صعيد القابلية لنتيجة حراك
تلك الذهنيات.

إذا تكلمنا عن الانتفاضة أو الثورة، فنحن نتكلم
عن الذهنية الجماعية، وكما قلنا: إذا أردت صناعة ثورة

فاصنع مجتمعا يفكر بنفس الطريقة، وهذا التفكير هو
الذهنية المجتمعية، والثورة سواء كانت فكرية أو سياسية أو
مسلحة و بكل أنواعها فهي ليست إلا انعكاسا لهذا
السبب المتمثل في تغير الذهنيات أو صناعة تفكير موحد.

كانت الصعوبة في صناعة رأي عام وتغيير ذهنية
الشعوب مسألة صعبة في الواقع التاريخي قبل اختراع
الراديو وبداية عصر المعلومة الفورية ووصلنا إلى عصر
عولمة الأفكار ما أدى إلى صناعة أنواع جديدة من
الحروب؛ ونقصد بذلك حروب الجيل الخامس بالذات،
كونها صناعة الثورات التي نعاصرها ونعيشها، بما فيها
الثورة الجزائرية الجديدة في المطالبة بجمهورية جديدة.

إذا تكلمنا عن استخدام الثوار الجزائريين الشباب
لمبادئ حروب الجيل الخامس فعلينا أن نتكلم أولا عن
موضوعنا وهو تغير ذهنية المجتمع الجزائري عن طريق
سببين هما:

- الأزمات الاجتماعية التي صنعتها السلطة
ورجال المال بقهر المجتمع.
- شمولية الأزمة عن طريق المعلومة الفورية
الذي نتج عنه الانتقاد العام للنظام .

أما الأزمات الاجتماعية فالعامل الرئيس فيها هو سوء التسيير لأملاك الدولة عن طريق خلق الطبقة داخل المجتمع الجزائري، بالتالي خلق برجوازية ضخمة إن لم نقل خلق نظام إقطاعي استعبادي جديد للشعب ككل، ومن هنا رأينا توالد عائلات ذات ثروة من لا شيء، أي استلاب أموال الشعب الذي يمثل الدولة في حد ذاتها بعد مرحلة الاستقلال.

ولعلنا رأينا أن هذا السبب لم يكن ليوجد خلال مرحلة النظام الاشتراكي خلال مرحلة حكم هواري بومدين رحمه الله، بينما رأينا تكالب بعض العائلات على المال الفاسد، ولكن الأمر فاق الحدود عندما بدأ رجال المال يسيطرون على دواليب السلطة في البلاد، حيث بدأ بالتوازي تدهور الوضع الاقتصادي للمواطن البسيط بوتيرة معاكسة لما يعيشه الأثرياء، وهنا بدأ الشعور بالقهرية والاستعباد والطبقية، لتصير الثورة حتمية تاريخية.

فالثورة تكمن على الدوام وراء الأزمات، قال آرثر شوبنهاور: "من الصعب أن تبقى صامتاً إن لم يكن لديك ما تفعله"، لذا فقد كان لزاماً على السلطة "أن تفهم أن مجموعة من المظالم الاجتماعية تستطيع تخزين طاقة ثورية

هائلة" كما قال أستاذنا مالك بن نبي، فللشعوب كما أقول قانون لا يدرسه حكامهم، أول مواده أن لا يمس الحاكم كرامة رعيته، وإلا خسر شرعيته الشعبية.

أما شمولية الأزمة⁹ فنقصد بها شعور الفرد بالانتماء إلى الشعور العام بالتالي وحدة الشعور الجمعي الذي نتج عنه الانتقاد العام للواقع المعيش، وما ساعد على هذا هو التواصل الجماعي الفوري الموسّع عن طريق تكنولوجيا التواصل الاجتماعي التي تمثل صمام أمان حروب الجيل الخامس، قال فلاديمير لينين: "أعطني أربع سنوات لتعليم الأطفال وسترى أن البذور التي سأزرعها سوف لن تقتلع"؛ فكيف بالشعب الجزائري الذي تربي في مدرسة القهر والظلم وتعلم وأيقن أن ثورة نوفمبر اندلعت من أجل الاستقلال والحرية.

إذا عرفنا هذا عرفنا كيفية صناعة رأي عام، وعرفنا السبب في أي انتفاضة أو ثورة لمجتمع ما.

⁹ - نعني بها الشعور بالمسؤولية المشتركة والمصير المشترك، وهو ما يمثل الشعور العام الذي يصنعه التراكم التاريخي والوعي الجمعي بالمشكل والحل معا.

● ولكن هل كان من الممكن تفادي الحراك

الثوري السلمي للجزائريين؟

بكل صراحة، لا.

والسبب في ذلك من جهتين هما:

● عدم مسايرة السلطة لتغير ذهنيات المجتمع

الجزائري: بالتالي عدم معرفة تفكير الأجيال

الصاعدة وينتج عن ذلك خلق فجوة بين

السلطة والشعب ولعل هذا ما صنع في ذهنية

الشعب الجزائري فكرة استحالة التفاوض

حول إسقاط النظام القائم.

● سياسة الأشخاص المسيطرين على دواليب

السلطة في البلاد: وهو التاريخ السلطوي

وبعبارة أخرى استحالة تدارك السلطة لنفسها

عن طريق تغيير نظام الحكم، فما فعلته السلطة

في عقود يستحيل أن تفعله في لحظة تفكير

حول ما يحدث.

إذا فهمنا ما سبق؛ ساقنا ذلك إلى الحديث عن أثر

الذهنيات في بعضها وعلاقته بتغيير الذهنيات، فالعلاقة بين

الفرد والجماعة في صناعة الذهنية علاقة تكاملية فالذهنية الفردية هي نتيجة الجماعة كما أن الذهنية الجماعية وليدة الأفراد ، وهذا التلاقح الفكري والذهني يرسم صورة عامة حول الواقع عن طريق خلق شبكة ذهنية يعلق بها كل فرد له ولو سبب واحد يربطه بتلك الذهنية الجماعية وبالتالي يتبنى كل ما في تلك الشبكة الذهنية تلقائياً.

من خلال بناء الشبكة الذهنية أو الذهنية الجماعية يمكن صناعة الفكرة العامة، وبما أننا نتحدث هنا عن فكرة الثورة فنحن نقصد الذهنية الثورية الجماعية، وهنا تكون الرؤية بعين الجماعة المنتمية إليها أي: بعين الثورة نفسها، ومن هنا تكون النتائج هينة على الفرد بل يتلاشى عنده الخوف من المجهول ويختفي أمامه الخوف من الموت في سبيل النضال الثوري وفي سبيل تلك الفكرة، هنا فقط نفهم تلك العلاقة الخفية بين تغير الذهنيات وصناعة الثورة.

قال هتلر: "عندما تقود الحكومة الشعب إلى الخراب بشتى الوسائل وكل الإمكانيات يصبح عصيان

كل فرد من أفراد الشعب حقاً من حقوقه، بل واجباً
وطنياً عليه".

الثوار الجدد وصراع الأجيال

"أنا ستعلمني أمريكا وأنتم
ستعلمكم شعوبكم"

صدام حسين

إن إلقاء نظرة بسيطة على مشروع الغزو التراكمي
للأفكار والثقافات من طرف الإدارة الغربية ومن طرف
مخابر الأفكار بوجه خاص؛ يعطينا الصورة التامة عما
نعانيه داخل أوطاننا من الهروب من واقع ما حولنا إلى
واقع آخر هو الجهل بما نحن فيه من عدم معرفة المعركة
الخاسرة التي نخوضها ضد نهاية التاريخ¹.

إن علاقتنا بالآخر في التصور الذهني لمجتمعنا يسوق
طريقة تفكيرنا آلياً إلى ما كان، فالتاريخ يتحكم بشكل
متسارع جداً في حرب الذهنيات التي تخوضها الدول
ضد بعضها، والتي تستهدفنا بشكل غير طبيعي لنفس

الأسباب التي تتمثل في الرصيد التاريخي
بيننا وبين الآخر.

داخل كل إنسان ثائر، فإذا تراكم التاريخ مضافا إلى
الذات في صناعة الثورة كانت الثورة ثورة شعب، لأن
التراكم التاريخي لا يصنع ثائرا واحدا وإنما يصنع كل
من يعاني ذلك التراكم. بمعنى أنه يصنع مجتمعا كاملا يتبنى
الأفكار نفسها التي يصنعها التاريخ النفسي لذلك المجتمع.

التاريخ التراكمي للمجتمع الجزائري والذي صنع
نوعا من التفكير التاريخي¹⁰ المتغير عبر القناعات الذاتية
التي يمر بها الفرد والجماعة جعل المجتمع الجزائري يمر
بثلاث مراحل من الذهنيات ضمت ثلاثة أجيال كاملة
واستمرت هذه الذهنيات إلى اليوم:

- ذهنية المرحلة الاستعمارية والثورية.
- ذهنية مرحلة الانفتاح السياسي والعشرية
السوداء .

10 - نقصد بالتفكير التاريخي كل الأفكار التي يمر بها العقل
الفردى والجماعى عبر مدة ما من التاريخ الذاتى والجماعى أو
هو المتغيرات الذهنية التي يمر بها الفرد والجماعة.

● ذهنية مرحلة ما بعد الإرهاب.

وللحديث عن هذه الذهنيات الثلاثة وتداخل الأجيال
الثلاث فيها نقول:

ذهنية المرحلة الاستعمارية والثورية:

أما ذهنية المرحلة الاستعمارية والثورية: فهي
الذهنيات التي تبلورت فيها العقلية السلطوية
واحتكار الفخر الثوري، وهي ذهنيات
المتحكمين في دواليب السلطة منذ عهد الحزب
الواحد إلى غاية انتفاضة الشعب الجزائري في
حراكه الثوري الذي نعيشه (حراك 22
فيفري)، وتضم هذه المرحلة جميع الشخصيات
التي استغلت الثورة وخلقت ما يسمى
بالشرعية الثورية لتحديد غيرهم من أجيال
الشعب الجزائري الصاعدة، وتحمل هذه
الذهنية كافة أساليب الحكم في الجزائر،
والحقيقة أن هذه الذهنيات هي التي تحكمت
بشكل فوقي في مصير الشعب الجزائري، غير أن
هناك اختلافاً بين هذه الذهنيات كأفراد وإن
كانت تجتمع في طريقة الحكم والتسلط،

والخلاف يكمن في حقيقة تطبيق المشروع الثوري النوفمبري ولو في بعض جزئياته، ذلك أن الذهنية التي حكمت البلاد بعد الاستقلال مباشرة إلى فترات متقطعة من تاريخ الجزائر في مرحلة الثمانينيات والتسعينيات كانت ثورية حقا على الأقل من حيث الشعور الجماعي. بمعنى الولاء لثورة التحرير، غير أن الذهنية تغيرت من العمل على خدمة البلاد إلى استغلال شعار الثورة والشرعية الثورية للاستيلاء على حريات وحقوق الشعب الجزائري، وهذا ما رأيناه من انضمام حتى من لا ينتمي إلى جيل مرحلة الثورة إلى هذه الذهنية استغلالا للتراث الوطني وسمعة الثورة وجبهة التحرير ودفاع بعض الشباب المنتمي إلى هؤلاء عن أصحاب المال الفاسد والتسيير اللاعقلاني للدولة بل حتى الدفاع عما يسمى بـ العصابة.

ذهنية مرحلة الانفتاح السياسي والعشرية السوداء:

أما عن ذهنية مرحلة الانفتاح السياسي والعشرية السوداء: فهي العقلية الجماعية التي بناها جيل ما بعد الاستقلال والتي تمحورت

أفكارها قبيل الانفتاح السياسي في الجزائر في ثمانينيات القرن الماضي وتأسيس أحزاب سياسية حملت إيديولوجيات متنوعة خاضت غمار محاولة التغيير في البلاد، الأمر الذي أفرز ذهنية جماعية حول العمل من أجل تغيير المنهج السياسي وإعادة خلق نظام آخر يسير البلاد ما أسفر عن حالة احتقان غير مسبوقه بعد إلغاء نتائج الانتخابات عام 1991 بعد فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ¹¹، وتضم هذه الذهنية كل من عاش تلك الفترة إلى غاية استتباب الأمن عن طريق الاتفاق الذي جرى بين الشعب والجماعات الإرهابية والذي توسطت فيه المؤسسة العسكرية في عهد الرئيس الأسبق اليمين زروال فيما يسمى بقانون الرحمة والذي واصل تحقيقه الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة فيما يسمى بمشروع الوئام المدني، وتضم هذه الذهنية كل الشعب الجزائري بما فيه أفراد

11 - بالتأكيد نحن نتكلم عن ذلك لا من حيث حقيقة ماجرى فالأمر لم يزل يحمل الكثير من الحلقات المفقودة، وإنما نتكلم عن ذلك من وجهة نظر اجتماعية، لهذا فلا يفهم القارئ من ذلك أننا ننحاز إلى طرف ما.

الجيش الشعبي الوطني، وأفراد الجماعات الإرهابية، والموالاتة والمعارضة، ما يشكل جيلا كاملا بعد جيل الثورة، واتسمت الذهنية الجماعية للشعب الجزائري في هذه الفترة بالالتفات إلى الحالة الأمنية في البلاد وبالتالي انتفاء الفكر الثوري تماما إذا استثنينا تلك الفكرة التي تقول أن ردة فعل الجبهة الإسلامية للإنقاذ كان ثورة، الأمر الذي لا نتفق معه لسبب واحد هو أن ردة فعل كلا من السلطة والجبهة الإسلامية للإنقاذ كانت ردة فعل إيديولوجية بحتة ونظن أن كلا من ردتى الفعل لم تكونا لمصلحة الوطن في نظر كلا طرفي النزاع¹² بحيث كان ذلك حتمية تاريخية نتج عن خلاف فكري إيديولوجي بحت، ولم تكن أي منها ثورة بالمعنى الذي يقصد منه

12 - بكل تأكيد كان كلا الطرفين يرى نفسه محقا في الفعل الذي قام به، ومن هنا رأت السلطة أن لا بد من إنقاذ الوطن من الإيديولوجيا الإسلامية حينها، فيما رأت الجبهة أن حقها قد هضم، وتبقى هذه النظرة في التفسير شخصية ولا نلزم بها أحدا من المخالفين، لافتقادنا إلى الوثائق التي تمحو الشك باليقين.

رضا الشعب بمعنى أن تلك الفترة لم تكن مرحلة ثورة شعبية، فقد كانت تلك المرحلة مرحلة ذهنية إيديولوجية جعلت الشعب الجزائري يعيش ما نسميه بالانقسام الذهني للمجتمع، تلك الحالة التي كانت تنبئ بجمية تاريخية هي مرحلة العشرية السوداء، فـ أيمًا شعب برزت على ساحته العامة ذهنيات إيديولوجية فهو مهدد بشكل حتمي بالحرب الأهلية تلك الذهنية التي يسهل تسيرها بأبسط الأساليب من طرف خارجي وبالطالي فهي عرضة للتوجيه بشكل لاواعي، وهذا ما حدث حينها فعلا، وليس هذا حكرا على المجتمع الجزائري فقط فنحن نشهده في كل البلاد العربية، وقد قلت من قبل: "إن الزمن الذي نعيشه والذي عشناه من قبل يؤكد لنا أن علم كيمياء العقل¹³ قد وصل إلى مرحلة تخدير الشعوب وقيادتها لا إراديا وبشكل عفوي نظن من خلاله أن العرب يفعلون ما في صالح

13 - يقصد بها الأساليب التي يتكرها الغرب في سبيل السيطرة على الرأي العام وفعل وردة فعل الشعوب.

أعدائهم¹⁴.

ذهنية مرحلة ما بعد الإرهاب:

أما عن ذهنية مرحلة ما بعد الإرهاب: فتضم مرحلة الشباب الجزائري وكل من لم تترسخ في ذهنه مرحلة التوتر الأمني، وتضم هذه المرحلة شباب حراك 22 فبراير أو ما أسميه بالثورة الشعبية، تلك الذهنية التي صنعت بثورتها ذهنية جديدة سمحت لكل الأجيال بدخول قطار التغيير الذي أطلقته ضد النظام في الجزائر، ولعل أبرز ما جعل ذهنية هذا الجيل تغير النظرة الجماعية للواقع هو أنها في حين لم تع مرحلة الإرهاب في الجزائر فقد عاشت مرحلة أخرى من تدهور الأحوال السياسية والاقتصادية في البلاد، وبدأ معها ظهور مصطلح الإرهاب البيروقراطي الذي أصاب مباشرة فئة الشباب التي تمثل غالبية الشعب الجزائري.

كما ساهم في بلورة تلك الذهنية شيوع

14 - من مقال للمؤلف بعنوان: "سيحدث الكثير والعرب

يسرون نحو الهاوية"، صدر شهر يوليو 2014 في عدة جرائد.

تكنولوجيا الاتصال والتعرف على مختلف الأفكار الإنسانية في العالم وتطبيقاتها على أرض الواقع مع سهولة معرفة الأحوال الدولية وأساليب الحكم وقلب نظام الحكم ما خلق ذهنية جديدة حول طبيعة الصراع في الجزائر مع استحضر التاريخ المليء بالتجارب ولاسيما مرحلتي الثورة التحريرية ومرحلة العشرية السوداء مع تجارب الدول الأخرى في محاولات الانتقال الديمقراطي وتغيير أنظمة الحكم ما جعل الشعب يكون فاعلا في الحياة السياسية في البلاد، من خلال إعلان الحراك السلمي لتغيير نظام الحكم.

ظاهرة صراع الأجيال:

إذا فهمنا المراحل الذهنية التي مر بها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال عرفنا أن المجتمع هذا يعيش القانون الكوني للمجتمعات ألا وهو **ظاهرة صراع الأجيال**، خاصة وأن ذهنية الجيل الأول قد سيطرة على السلطة إلى درجة استغلال التاريخ لصالحها، ومن هنا أحدث الجيل الثالث قطيعة تاريخية بين ما يسميه بالعصابة وبين الثورة التحريرية التي تمثل إرثا لكل الجزائريين، وعلى هذا الأساس كان الحراك الشعبي ينادي بإسقاط العصابة (نظام

الحكم).

علينا أن نفهم أن الذهنية الثورية والفكر الثوري يعتبر حتمية اجتماعية تختلف مستوياتها من مجتمع لآخر بحسب الظروف التي توطر ذلك الفكر وتلك الذهنية، وبالتالي فإن أي مسار تاريخي غير متغير عبر جيلين فقط كفيل ياشعال الجيل صراع أجيال وبالتالي فإن عدم تغير المسار التاريخي لذهنيات ثلاثة أجيال في الجزائر أفرز عن حركتين تاريخيتين: حركة الإيديولوجيا في التسعينات والتي كانت حركة خاسرة، وحركة الثورة الشعبية التي نعيشها الآن (2019).

إذا أمعنا النظر في الحراك الشعبي رأينا أن الجيل الحالي يصارع الجيل الأول أو بعبارة أدق ذهنية الجيل الحالي تصارع ذهنية الجيل الأول ومن هنا رأينا فكرة بناء الجمهورية الثانية أو الجمهورية الجديدة التي تنادي بـ إبطال فكرة الشرعية الثورية، وكأننا أمام سيطرة الذهنية الشبانية لشباب الحراك على الذهنيات الأخرى ككل بمعنى انضمام الجيل الثاني الذي كسر حاجز الخوف بل وحتى الجيل الأول إلى الحراك ضد من يستغلون الإرث الشعبي ويتحكمون في السلطة باسم

الثورة.

في نفس الوقت الذي نرى فيه تغير الذهنيات نرى فيه الاختلاف بين الأجيال في حد ذاتها حتى في طريقة التغيير، فالحراك السلمي في الجزائر هو تصحيح لفكرة المقاومة المسلحة التي جرت بعض البلدان العربية إلى الانقسام والحرب الأهلية التي لا تضع أوزارها إلا بسيادة الوعي الجمعي حول مفهوم الوطن والمواطنة خارج الإيديولوجيات المحتقنة والتي تخرج المجتمع من دائرة الوعي الجماعي إلى دائرة الفعل اللاواعي.

صراع الأجيال من أخطر المظاهر السوسيوسياسية التي تنبث إليها الإدارات الغربية لتواجهها قبل بروزها عن طريق فكرة تشبيب الحكومات وإقحام التفكير المتجدد مكان التفكير الكلاسيكي حول أحادية التسيير واتخاذ القرار، ولكن في الجزائر مع إضافة أخرى هي مخالفة الطريقة التراكم التاريخي الذي عاشه المجتمع من خلال تشبيب السلطة مع مراعاة الكفاءة وانتفاء الفساد.

الظروف السوسيو تاريخية وصناعة الثورة

"إذا ما استشهدنا، دافعوا على أرواحنا، نحن خلقنا من أجل

أن نموت لكي تخلفنا أجيال لاستكمال المسيرة"

الشهيد ديدوش مراد

لا مناص من الفرار مما سيأتي، فالعالم الإنساني خاضع لما سيكون، والحتمية القهرية للتاريخ هي التاريخ نفسه، ونحن لن نعيش إلا ما سيكون، هذا ما جعل الفلسفات تبحث عن سبل الخروج من الأزمة الحتمية للتاريخ بالسيطرة على ما سيكون انطلاقاً من السيطرة عما هو كائن الآن.

هذا هو السر فيما نراه من السياسات الكبرى لأقطاب العالم، وهو نفس ما تنتهجه سياسات العالم الثالث، ففي الدول الكبرى تكون الفكرة أوسع من النظرة الضيقة لدول العالم الثالث، فالمملكة المتحدة

البريطانية والولايات المتحدة الأمريكية واتحاد روسيا العظمى وبعض الدول التي تحاول ممارسة تلك السياسات تسعى إلى تجنب الأزمات الداخلية بخلق الأزمات خارج الحدود. بمعنى تصدير الأزمة¹⁵؛ وبالتالي صناعة تبعية تامة تكفل لها الأمن من الصدمة التي يمكن أن تصنعها الشعوب الأخرى، بينما في دول العالم الثالث نرى تلك الفكرة داخل الحدود نفسها؛ فيمارس أصحاب السلطة نفس تلك الطريقة على الشعب نفسه، حيث لا يطلب الشعب المخنوق من السلطة إلا أن تنقذه وهو بهذا لا يفكر أبدا في القضاء على من وضع الحبل حول عنقه.

إذا عرفنا هذا تيقنا أنه لا مناص مما سيأتي، وذاكرنا هذا بكلام الثائر إرنيسـتو تشي جيفارا: "لا نستطيع أن

15 - وهذا ما تنتهجه بعض الدول العربية والإسلامية والتي فقدت الثقة الشعبية الدولية أي فقدت ثقة الشعوب الإسلامية ومن بين تلك الدول التي تحاول تصدير أزماتها عن طريق بث الفتن وإحداث الأزمات في العالم الإسلامي: مملكة آل سعود، الإمارات العربية، تركيا، وتختلف الأساليب ما بين صناعة الأزمات الاقتصادية، حياكة المؤامرات، تأسيس مبيـشيات مسلحة، دعم تنظيـمات إرهابية.

نصبح ما نريد ببقائنا على ما نحن عليه"؛ وتقول الفلسفة ويقول التاريخ أنه علينا أن نتيقن أيضا أنه لا مناص ولا مفر مما مضى، فالتاريخ يصنع التاريخ ولا وجود لفاصل قطعي بين ما نسميه بالمراحل التاريخية تجاوزا لا لشيء إلا للتمييز، التاريخ ليس إلا هذا التعاقب للزمن والفعل، وهذا ما يخلق تراكما تاريخيا في الذهنيات أو ما أسميه بالتاريخ النفسي، وهو التراكمات التاريخية داخل النفسية الفردية والجماعية لشعب ما يعيش تاريخه غير المكتوب، ذلك التاريخ الذي لا يقرؤه إلا الضعفاء، إنه كل ما يعيشه الإنسان من أزمات، باختصار هو ذلك الشعور بالاختناق، فإذا لم يكن التاريخ الذي سنعيشه إلا نتيجة ما نعيشه الآن والذي بدوره هو ما عشناه بالأمس فعلينا أن نعلم إذا أن سلطة الشعوب ستغلب السلطة الضيقة وإن كانت تلك السلطة محاطة بأنواع الحماية، سواء كنا نتحدث عن أقطاب الدول أو عن دول العالم الأخرى باختلاف طفيف، لنجد كلمة أخرى لتشبي جيفارا يقول فيها: "لا يزال الأغبياء يتصورون أن الثورة قابلة للهزيمة".

إذا تكلمنا بلغة اجتماعية فإن الواقع التاريخي يثبت أن

الجماعات سواء كانت جماعات كبيرة كالأمّة أو جماعة صغيرة؛ تسير وفق نفس النواميس وإن كانت الجماعات الكبرى تخضع لتسيير أكثر تقنيًا، ولا بد من الاعتراف أن الشعوب تعيش مؤامرات وليس هذا تعميما من طرفنا أو إلقاء المسؤولية عنا كشعوب، فالمؤامرة ليست فقط تلك الفكرة التي نحملها عن القوى العظمى كالولايات المتحدة مثلا بل لا بد من العلم أن هناك وجودا لمؤامرات مختلفة المستويات، إذ أن المؤامرات الصغيرة التي تصنعها أيادي بني جلدتنا وبلدنا أكثر بكثير من المؤامرات الأخرى؛ وهي تضربنا في الصميم أكثر بكثير من تلك¹⁶، بل كل ما يحاك ضد الشعوب من داخلها هو الأساس لفاعلية المؤامرات الأخرى.

إن حديثنا عن تاريخنا، وعلى الأقل بعد الفاصل التاريخي للجزائر عام 1962 والذي نستطيع القول أنه كان بمثابة صناعة تأريخ آخر رغم أننا نعرف كدارسين لتاريخنا بكل ما يحمله من محمود ومذموم أن فترة ما بعد

¹⁶ - وهذا ما حدث في الجزائر لولا وحدة الجيش والشعب في مواجهة أكبر مؤامرة فرنسية بمساعدة بعض الخونة من أذئاب العصاة والتي كانت ستعصف بالبلاد.

الاستقلال قد صنعها لزاما ما قبلها، وبالتالي فنحن نرد تلك القدسية التي صبغت بها الثورة الجزائرية مع اعترافنا بأنها كانت من بين أروع الثورات تنظيما وعملا وشعبية، فالواقع التاريخي لمرحلة الرئيس الراحل هواري بومدين مع ما حملته من ازدهار اقتصادي في ظل الأفكار الاشتراكية في فترة كانت فيها البلاد قد خرجت من مرحلة استعمارية؛ يشهد أن الجانب السياسي منها وأقصد به السياسة الداخلية لتكتلات ما يسمى بحزب جبهة التحرير الوطني هو ما صنع فيما بعد تخلّق الفكر الانفصالي والاستئصالي وتمزق الهوية الوطنية بظهور دعوى هويات أخرى مخالفة لما ادّعاه النافذون في حزب جبهة التحرير ومكاتب السلطة، فعلى الرغم من تلك التنظيرات الفريدة في سياسة حزب جبهة التحرير إلا أن من ادعوا النضال تحت لوائه لم يعكسوا تلك الأفكار¹⁷، هذا إذا استثنينا بعض الشخصيات الفريدة أمثال عبد

17 - ولعل أكبر دليل على ذلك أن معظم من اتهمهم الحراك الجزائري ونبزهم بالعصابة كانوا يستغلون رمزية جبهة التحرير لقضا مصالح شخصية بل وكانوا هم السبب في تشويه صورة حزب جبهة التحرير الذي صار حكرا عليهم بعد أن كان إرثا تاريخيا لكل الجزائريين بمختلف انتماءاتهم.

الحميد مهري.

كان الوضع الذي خلق أزمة نفي الشخصيات التاريخية كالرئيس الراحل الشهيد محمد بوضياف والمناضل الثائر حسين أيت أحمد وطميش فكر الفيلسوف مالك بن نبي وإجهاض مشروع نايت بلقاسم وغيرهم رحمهم الله وليد أزمة التباين بين مرحلة الثورة ومرحلة الاستقلال ونتيجة الخلاف الفكري حول ذلك¹⁸.

ما فعله هواري بومدين من صناعة حزب واحد يسير البلاد وفق مبادئه وإن كان بالنسبة للكثير يعدّ أكبر خطأ ارتكبه بومدين وإن كنا بصراحة نخالف هذا الرأي إلا أننا نتفق تماما مع جزئية منه وهي رأي الشهيد محمد بوضياف رحمه الله حول الحزب والذي كان يصرح بأن مهمة

18 - يجب أن نعطي كل ذي حق حقه، لسنا هنا من أجل الإقصاء أو نفي الآخر أو سلب الشعار الثوري الذي ناله هؤلاء خلال محاربتهم للاستعمار الفرنسي، ولكن التوجه الفكري هو ما يحدد لنا ضرورة تقييم الشخصيات بحسب محافظتهم على وحدة الوطن ذلك أن الفكر الاستثنائي هو ما حذرنا ونحذر منه (راجع فصل: الهوية الوطنية في مواجهة الهويات) لفهم مرادنا.

جبهة التحرير انتهت مع نهاية الاستعمار الفرنسي عام 1962.

فمن جهتنا كانت فكرة بومدين في جمع الشعب على حزب واحد بتلك الحيلة التي تتمثل في سرقة التراث التاريخي للثورة بالاستيلاء على تاريخ الشعب كله المتمثل في نضال جبهة التحرير أيام الثورة التحريرية الكبرى هو ما خلق ذلك الفراغ السياسي والكبت النفسي حول مسألة المساهمة والنضال السياسي من أجل البلد¹⁹، ولهذا رأينا فكرة جبهة القوى الاشتراكية بزعامة حسين آيت أحمد ونضال جبهة القوى العظيم في

19 - لعل الكثير يخالفنا هذا الرأي غير أننا نظن والله أعلم أن تسيير الدولة في مرحلة ما بعد الثورة عن طريق نظام الحزب الواحد كان صحيحا نسبيا وفي مصلحة البلد غير أن مواصلة ذلك طيلة فترة حكم بومدين كانت أكبر خطأ وقع فيه هواري بومدين رحمه الله كما أن الخطأ الأكبر منه هو تسمية الحزب بجبهة التحرير الذي يعد استغلالا للتاريخ فكلنا يعلم يقينا أن جبهة التحرير التي أنقذت البلاد ليست هي التي حكمت فيما بعد ولا سيما طيلة خمسين سنة خاصة وأن قانون تأسيس الأحزاب في الجزائر يمنع استغلال مقومات الهوية في تسمية الحزب.

مواجهة السياسة الفردية أو ما يسمى بالدكتاتورية الحزبية²⁰ ، فبومدين رحمه الله لم يفكر في مرحلة ما بعد فقدانه للسلطة سواء بموته أو بطريقة أخرى من صناعة الحزب الحاكم نفسه، وقد شعر بومدين نفسه بمغبة هذا من ناحية الضباط الجدد الذين بدأوا يصنعون لأنفسهم نفوذا داخل السلطة والمعروفين بـ: ضباط فرنسا أو جماعة لاکوست.

علينا ألا ننسى أن أزمة الثمانينات كانت حتمية تاريخية لظهور التاريخ المتراكم في مكبوت الشعب، فهو نتيجة لازمة لما كان، والجدير بالذكر أن الكثير ممن يعيش زمنا ما ويفكر بمنطقه ويبقى في تلك القوقعة الذهنية يتفاجأ بما سيحدث بعد ذلك، ولهذا فهو يتهم كل من بعده بأنه خالف العرف والمنطق متناسيا أن الأعراف والمنطق هو ما تغير، وأنه هو نفسه لم يواكب التطور الذهني لشعبه، بالتالي فهو من صنع أزمة الشعب

20 - كلامنا هذا تاريخي بحت وليس انتصارا منا لتيار معين على حساب الآخر فنحن نقر بفضل كل من ساهم في تحرير البلاد على اختلاف إيديولوجياتهم وتوجهاتهم حينها.

وهو من صنع حتمية الثورة عليه²¹.

إن صناعة الأزمة في عصرنا هذا صار نوعاً من الفلسفات السياسية للتحكم في الأوضاع وتوجيه الأحداث، ولكنه لا يزال في دول العالم الثالث سياسة حتمية لانعدام المعرفة أو نتيجة لسوء التسيير وكلاهما يصب في الشيء نفسه، فقد شاع في دول العالم الثالث والشعوب المستضعفة أن صناعة الأزمة الداخلية يساعد على التحكم في الشعب نفسه متناسين طبعاً الكبت الجماعي وتغير الذهنيات ليصل هؤلاء المتسلطين في يوم ما إلى الصدمة .

كانت أحداث 1988 في واقع الأمر تنبئ عن تغير الذهنية الجزائرية وظهور جيل آخر يحمل أفكاراً مغايرة لما كان عليه من سبقهم²² ممن كانوا في دواليب السلطة وهو

21 - لا نريد أن يفهم من كلامنا هذا أننا نؤيد الفعل الإجرامي المتهور الذي نتج عن منطق براجماتية البقاء فلا أحد يملك الحق في استخدام العنف بل إن مجرد استخدام العنف يفقد صاحبه شرعيته حتى كمواطن ينتمي إلى ذلك الشعب.

22 - كاستقراء تاريخي بحث لا علاقة له بوجهة نظر شخصية نقول: كان التطور السريع للأفكار المحيطة بالوقائع الجزائري

يمثل وصفا دقيقا لما سيكون ويحدث، ولكن النظام لم يشعر بخطورة تغير الذهنيات، ولم يعلم أن تغير الذهنية الجماعية يصنع شكلا جديدا من الحياة ككل، وهذا ما أجّل صدمة السلطة من تلك السنة إلى عام 1991 عندما أعلن الشعب الجزائري تأييده للإسلاميين وعلى رأسهم الحزب المنحلّ الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

في الواقع أننا نزعم أن الثورة في واقعها هي تغير الذهنية الجماعية للشعوب؛ وليس الفعل التاريخي لها إلا نتيجة لذلك التغير فقط، وهذا التغير لا يحدث إلا بتراكم الفعل التاريخي في النفسية الجماعية، فالأزمات والواقع بكل ما يحمله يجعل العقل الفردي والجماعي معا يعيد النظر فيما كان وما هو كائن ويجعله يرسم

يفرض منطقا مخالفا للمعهود في شتى بقاع العالم مما جعل الأفكار تتخطى الحدود لتصنع ذهنيات جديدة صنعت وعيا جمعيا آخر اصطدم مع الذهنيات التقليدية لعدم قابلية التقليديين للتعدد الذهني ومحاولة فرض عقلية وحيدة تتماشى مع السياسة النظامية آنذاك إضافة إلى اختلاف وجهات النظر حول مسألة ما لا يكون إلا بتوفر ما يقتنع به صاحبه وبالتالي فطرفي النقيض كان يرى الآخر مخطئا وضد مصلحة البلد.

سبلا وأساليب في صناعة ما يكون، وبالتالي فإن التراكم ذلك لا ينتظر إلا القطرة التي تفيض الكأس، لا ينتظر إلا ما يحرك ذلك الشعور، ولا ينتظر إلا المبادرة لبدأ الثورة بنفسه، وهذا ما تفتن إليه الشهيد العربي بن مهيدي رحمه الله عندما قال: "ألقوا بالثورة إلى الشارع وسيحتضنها الشعب".

ولعلنا هنا ننوه إلى أمر لم تنتبه إليه السلطات في الوطن العربي عندما انتفضت الشعوب العربية فيما يسمى بالربيع العربي، وهو ما لم تنتبه إليه السلطة الجزائرية في حراك 22 فبراير، ألا وهو قيادة الثورات المعاصرة، فحروب الجيل الخامس لا تعتمد وجوب قائد لحراك ما وإن كانت تعتمد المبادرة من بعض الأشخاص، على عكس ثورات القرن التاسع عشر وما قبله، وبالتالي ستكون السلطة في مواجهة ثورة لا تسقط بسقوط الرجال لأنها غير مرتبطة بأفراد، فالثورة الحقيقية في القرن الواحد والعشرين مرتبطة بالفكرة، وهي وإن كانت تحتاج إلى مؤطرين وقد تكون فوضوية بعض الشيء إلا أنها تنتظم بكل سهولة إذا وجدت من يحمل الفكرة، في نفس الوقت الذي لن تتأثر بفقدان من أعطته

ولاءها وجعلته قائدا عليها²³، بل يجدر بنا العلم أن ثورات القرن هذا هي ثورات إخضاع للسلطة عن طريق حرب اللاعنف²⁴، والتي صار الغرب²⁵ يحاول عن طريقها اختراق الثورات العربية وربما صنعها.

في الواقع، لا أحد يستطيع الجزم أن الثورات العربية

23 - كما يجدر بنا التأكيد على أنها سهلة التحكم والتوجيه وربما يستغلها العدو لصالحه وبالتالي فقدان السيطرة عليها وهذا ما حدث في بعض الدول العربية خلال مرحلة الربيع العربي.

24 - حرب اللاعنف أسلوب اعتمده ماهاتما غاندي في نضاله ضد الاحتلال الإنجليزي كما استخدم في عدت ثورات كالثورة الصربية ضد سلوبودان ميلوزوفيتش والكثير من الدول خلال مرحلة ما يسمى بالربيع العربي، وهي فلسفة مقاومة سلمية مستوحاة من بعض التعاليم الدينية الهندية.

25 - وهو ما عكف عليه (جين شارب) في كتاب "سياسة الحراك السلمي" وطبقه بعض الأكاديميين الصرب بالخصوص (سرديا بوبوفيتش وسلوبودان دينوفيتش) في الثورة على الدكتاتور سلوبودان ميلوزوفيتش وإسقاط نظامه في صربيا ومن هناك تأسست منظمة أوتبور غيرها لصناعة الثورات السلمية وقد تلقى الكثير من رؤوس ثورات الربيع العربي مبادئها في صربيا لاستغلال الثورات وركوبها.

على حكامها كانت تسير بأيادي أجنبية وأنها تخدم أجنادات الغرب، بل إن إشاعة هذا هو من باب الحرب النفسية على الشعوب الثائرة نفسها²⁶، ولكن الواقع يقول أنه تم اختراق الثورات تلك وتوجيهها من خلال صناعة ساسة شاركوا فيها ولكنهم يخدمون أجنادات أجنبية، وستحدث عن توجيه الثورات واختراقها قريبا.

يجب أن نعلم أن الثورة، قد تصنع من الخارج عن طريق صناعة الأزمة حيث تكون السلطة المساهم الأول في تلك الأزمة نفسها نتيجة سياساتها السابقة تجاه شعبها الثائر نفسه، فلا تكون الأزمة إلا القطرة التي أفاضت الكأس²⁷، وبالتالي فإن اتهام الحاكم لشعبه في ثورته عليه

²⁶ - ذلك أن الأمر مجرد دعوى تحتاج إلى أدلة، بل وما يجب على الدول هو استنقاذ بلدانهم من أي مخططات قد تكون تسربت بين الثوار لمحاولة صناعة صراع داخلي ينتج تبعية بعدية للخارج، وبالتالي فمحاولة إصلاح الوضع وفق ما تريده الشعوب هو الحل الوحيد للمحافظة على الأوطان وهو الأمر الذي تنبه إليه الجيش الجزائري حين قرر الانضمام إلى الشعب ووقوفه مع الحراك ففي النهاية: الشعب هو مصدر السلطة.

²⁷ - هذا ما يسمى بنظرية الصدمة الاقتصادية التي ابتكرها ميلتون فريدمان أستاذ معهد شيكاغو للعلوم الاقتصادية في

بأنه يخدم أجندة أجنبية هي قهمة تقع على الحاكم نفسه في الحقيقة لأنه يعين العدو على شعبه بخلق الأزمة التي تقهره، ولهذا أقول على الدوام: يصنع الحاكم ثورة شعبه عليه عندما يسلبه حرّيته.

وعليّنا أن نعلم أن الانتفاضة الشعبية لا تكون إلا بعد انتفاضات صغيرة، إذ لا بد للمجتمع من ردة فعل جزئية يقوم بها كل حسب ما يحتاجه أو حسب ما يرى أنه سلب منه²⁸، ولكن الحكومات العربية ومن بينها الحكومات الجزائرية التي تعاقبت على السلطة رأّت أنّها قد وجدت لنفسها مخرجا من الغضب الاجتماعي عن طريق خلق الأنظمة العسكرية أو الدولة البوليسية أو إثارة

الخمسينيات من القرن المنصم، والتي استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية عن طريقها زعزعة الكثير من البلدان وهدم أنظمتها كالذي حصل في شيلي.

²⁸ - هذا ما نسميه بعدوى الأفكار فلا وجود لمواطن لم يسلب منه شيء قد يجعله يثور، ولكن الشعور بالاعتراب عن المجتمع هو ما يكبح تلك الإرادة، وبمجرد الشعور بالانتماء عن طريق معرفة وجود نفس تلك الإرادة في المجتمع ككل واليقين بذلك بأن الشرارة لن تكون إلا دافعا ملموسا لاشتعال الوضع الثوري.

الرعب وبالتالي القضاء على المبادرة وصناعة الخوف العام من الجهول²⁹، رغم أن الشعوب تعيش فعلا ذلك الجهول وتساهم بأكبر شكل في صناعته لأبنائها، "فالقوة صنعت العبيد الأولين، والجن والخوف أدامهم" هكذا قال جون جاك روسو.

ما يهم في هذا أن نعلم أن الشعب هو من يصنع مستقبله كما صنع حاضره سواء بنهضته بما يكتب به تاريخا مشرفا أو المساهمة بصمته وخضوعه في صناعة معاناته وكتابة تاريخه الذي يحاول كل فرد فيما بعد التنصل منه وتبرئة نفسه منه.

29 - ويعود السبب في ذلك نتيجة لوجود أفراد متسلطين في دواليب الحكم يخدمون مصالح دول أخرى عن طريق قهر الشعب، وهذا ما اسطرح عليه في الجزائر بالعصاة.

الثورة الذاتية والثورة الموجهة

"رصيد الديمقراطية الحقيقي ليس في صناديق

الانتخابات فحسب، بل في وعي الناس"

جون جاك روسو

قلت في مقال لي بعنوان "الاستعمار التوجيهي:
أكذوبة تحرر الشعوب من الإمبريالية"³⁰:

"في الواقع، إن الظن بأن الاستعمار الغربي قد انتهى خطأ،
فمادامت الأوضاع السياسية والاقتصادية وعقلية
الشعوب بأيدي الإمبريالية الجديدة فلن تنتظر الدول
المستعمرة إلا توجيهها لتغيير الأوضاع وصناعة صراع
لا ينتج عنه إلا طلب حماية الاستعمار نفسه، بالتالي
فنحن في مرحلة حرجة من التاريخ بل نحن بين أمرين

³⁰ - صدر المقال في 11 جانفي 2019.

أحلاهما مر؛ والمشكلة الكبرى أن النتيجة غير معلومة من أصلها، وهذا هو السر في رؤيتنا لعدة ثورات هضوية ولكنها أجهضت أو وضعت في المتاحف كون الشعوب أرادت فثارت ولكنها في الواقع ثارت ولم تفعل شيئاً".

هناك الكثير من المديح لأصحاب النظريات التي تحدث ثورة في مختلف مجالات العلوم، ولكن التاريخ يتناسى تماماً أن تلك النظريات ليس لهؤلاء القلة من الناس الذين نعرف لهم بالعبقريّة في ملمة تلك المفاهيم وصياغة تلك المعلومات في نظرية واحدة ترتبط بأسمائهم، فإن الكثير من الأشياء موجودة في داخل المجتمعات البسيطة التي لا تدرك ما لديها من ثورات؛ ولكن أشخاصاً آخرين يتنبهون إلى ذلك فيسجلهم التاريخ كعباقرة علما أنه ليس لهم من ذلك إلا إخراجهم تلك الثورات فقط.

هكذا هي ثورات الشعوب من أجل تغيير الأنظمة الحاكمة، غير أن هناك فروقا بين الشعوب؛ فكما يوجد شعب راكد يوجد شعب آخر يسير إلى السد ويوجد شعب غيرهما يسير كالنهر عذبا ممتدا يصنع الحضارة أينما كان، وهناك شعب غير ذلك كله إذ يُسَيَّر عذبا ورغما

عنه ليصب في بحر مالح أجاج.

● أما الأول فهي الشعوب المقهورة التي لا تنتفض.

● وأما الثاني فهو الشعب الذي يثور ليقصمه الحاكم ويشرده ويقضي على ثورته.

● وأما الثالث فهو الشعب الثائر الذي يعي ماضيه وحاضره ويصنع مستقبله يمهده إحدى يديه بالسلام ويحمل بالأخرى سلاحه ضد من يستهدف وطنه³¹.

● وأما الرابع فهو الشعب الذي يثور وتسرق ثورته ويزيف تاريخه ويظن أنه قد صنع الجد، والحقيقة تقول أن ثورته لم تصنع إلا صورة أخرى من النظام الذي ثار عليه.

نحن لا نعيش في هذا العالم لوحدنا، نحن في عالم مليء بالبشر مليء بالشمر، يوجد الكثير من الخير ومن السلام ولكن الظن بالآخر بعد عن الواقع ولاسيما إذا كان في يوم من الأيام عدوا متربصا يلقي بنا نحو مجهول لا حياة فيه، خاصة وأنا في عصر إذا تحرك شخص

31 - نأمل أن تكون الشعوب العربية هكذا.

ما في بلد آخر أثار زوبعة في بلدنا، وإذا تحرك شخص في بلدنا أعلن هو حالة الطوارئ في بلده، فإذا كان الحراك حراك شعب بأكمله فعلياً أن نتيقن أن الدول الأخرى ترتعد خوفاً على الكثير من الأشياء التي لا نعي خطورتها، ولهذا فإن أجهزة المخابرات في الكثير من الدول تتحرك على جناح السرعة لسرقة ثورات الشعوب وتوجيهها في الطريق الذي يضمن لها الوصول إلى ما يريد لا ما تريده الثورة ويريد الشعب الثائر.

علينا أن نعلم يقيناً أن الثورة تندلع بطريقتين اثنتين هما:

- أن ثور الشعوب من ذاتها بذاتها ضد الاستبداد والاحتلال.
- أن تُدفع الشعوب إلى الثورة لتخرج بغير وعي منها.

وهذا ما يمثل الثورة الذاتية والثورة الموجهة.

فأما أن ثور الشعوب من ذاتها فهذا ما على الشعوب أن تفعله ضد الاستبداد والاحتلال والإمبريالية الجديدة، وهي الثورات التي تزعزع هرم الحكومة العالمية من

أساسها³²، فإذا ما كانت الثورات واسعة النطاق وحدث ما يشبه الوعي الدولي للشعوب بالثورة ضد النظام العالمي فهو إيذان بجميعة صناعة الدول الكبرى لحرب عالمية تحاول أن تستنقذ عن طريقها سلطتها على الدول ولو على حساب شعوبها هي نفسها.

يجدر بنا أن نعي أن الحروب بين الدول الكبرى هي حروب ردع، وأما حروب الدول الكبرى مع الدول المستضعفة هي حروب وعي بالدرجة الأولى³³، ولهذا

32 - هناك الكثير ممن يرفضون نظرية الحكومة العالمية والتي تسوق في نظرهم إلى خرافات، وهو المعروف بالنظام العالمي الجديد، غير أننا على الأقل نعي بذلك القوانين الدولية التي تؤسس للعلاقات الدولية والتي تحمل الكثير من الهيمنة الاقتصادية على دول العالم لخدمة مصالح دول عظمى معروفة.

33 - ولهذا فإن أعظم مهمة تواجه العالم الإسلامي هي مهمة توعية الشعوب ويجدر بالذكر أن ما نسميه صحوة في بعض الأمور ليس إلا سيرا نحو الهاوية التي لا نعرفها ولعل أبرز مثال على ذلك ما يسمى بالصحوة الإسلامية خلال ثمانينيات القرن الماضي والتي جرت الشعوب العربية نحو التطرف والإرهاب وبالتالي فنحن أمام مهمة أكبر هي تطهير كل ما حولنا من الزيف والباطل والخرافات إذ لا بد من الانتقال من مرحلة

عملت الإمبريالية الغربية على تغييب الشعوب عن فكرها وثقافتها وهويتها وحقيقة حضارتها، فإن لم تستطع السيطرة على الذهنية الجماعية لشعب ما ورأت أن تلك الدولة تسير نحو مرحلة من الوعي الجماعي بالحقيقة أعلنت الحرب المسلحة ضدها بأي حجة تستطيع من خلالها التدخل العسكري لتدمير الوعي الجماعي بالقضية وتغيير المسار التفكيري من مشروع صناعة الحضارة إلى محاولة استنقاذ ذلك الشعب لنفسه من مهلكة الجوع والحروب الأهلية والتفكك الجغرافي لتراب الدولة.

خلال مرحلة ما بعد الكولونيالية لم تتغير الفكرة الجامعة للدول الكبرى حول فكرة السيطرة على الدول المستعمرة غير أن فكرة الاستعمار الكلاسيكي للشعوب والمتمثل في الاحتلال المباشر قد تغيرت نحو استراتيجية جديدة للاستعمار أو ما أسميه بالاستعمار التوجيهي، من خلال إيجاد أسلوب جديد لمرحلة الكولونيالية الجديدة عن

تقديس الأشخاص التي نعيشها إلى تقديس الحق، فالأشخاص تبع للحق وليس الحق تبع للأشخاص، "لا يُعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله".

طريق التحكم في مصائر الدول والسيطرة السياسية والاقتصادية والتحكم في صناعة القرار³⁴، وبالتالي فنحن لا نعيش مرحلة استقلال كامل، وهذا هو السر في خشية الدول الاستعمارية من ثورة الشعوب ضد أنظمتها الحاكمة³⁵، بعبارة أخرى الخشية من استبعاد عملائها في دول العالم الثالث وبالتالي فقدان السيطرة على الأوضاع وخسارة مصالحها ومصادر اقتصادها، وعلى

34 - وهذا الأمر ليس أمرا مرحليا وإنما هو استمرارية للأفكار من أجل صناعة استعمار جديد بطريقة أخرى تعمل عليها مخابر الأفكار وصناعة الأزمات لكسب الكثير ومن بين ذلك محاولة إعطاء شرعية جديدة للاستعمار، وصناعة وضع التدمير الذاتي للشعوب عن طريق صناعة الأزمة ودون تدخل عسكري.

35 - هنا يكمن سر المؤامرة التي دبرتها فرنسا لتقويض أركان الدولة الجزائرية شعبا وجيشا عن طريق التحكم في قرارات العصاة ومن هنا بدأت أسلوب كسر الحراك أولا ثم تشويبه ثم محاولة توجيهه وسرقته لخدمة مصالح فرنسا لولا يقظة الشعب في احتضان المؤسسة العسكرية ويقظة المؤسسة العسكرية في الانضمام إلى الشعب والوقوف معه ضد السلطة المستبدة وعملاء فرنسا (العصابة).

هذا فنحن في عصرنا هذا نعيش ما هو أصعب من الاستعمار المسلح لسبب وحيد هو أننا خلال المرحلة الكولونيالية كنا ندري تماما وبكل ثقة من هو العدو، وأما اليوم فنحن نقف أمام الكثير من الأعداء الذين تجذرت مصالحهم بما يُنتهَب في بلداننا، وهكذا سنكون أمام مع أمام الكثير من المخططات الغربية والمؤامرات المشتركة التي يقودها العملاء، وهذا ما أشار إليه فرانز فانون حين قال: "التحرر الحقيقي ليس بالثورة فقط بل في التحرر من إرث المستعمر".

أمام الثورة المسلحة ينتهج العدو سياسة تشويه الثورة من جهة، وسياسة كسرها من جهة أخرى، إلا أن تكون الثورة ضد عدو ما ويكون الموجه بلدا آخر، كالذي حدث من دعم الولايات المتحدة الأمريكية لحركات التحرر والانفصال عن الاتحاد السوفياتي، وأما في الثورات السلمية فينتهج العدو سياسة التوجيه أولا، فإن كانت المقاومة شرسة بتأصيل الوعي الجماعي من خلال فضح المخططات الغربية لتوجيه الثورة بدأ بانتهاج أسلوب كسر الثورة عن طريق فرض منطق الحرب

الأهلية أو الحرب الجوارية³⁶، ويكون العمل على الثورة الموجهة بأربعة أساليب هي:

● **السيناريوهات الموهمة:** من خلال تتويجه الشعوب عن حقيقة الهدف من خلال صناعة سيناريوهات ظاهرها الانتصار وحقيقتها الهزيمة وأغلب النتائج في هذا الأسلوب هو صناعة زعيم للثورة يتقلد زمام الحكم بعد نجاح الثورة المزعوم، وبالتالي الحفاظ على المصالح وضمان التحكم في دواليب السلطة.

● **المساعدة المباشرة والعينية للثورة من طرف الخارج نفسه:** وهو أسلوب متهيج في حالة الثورة على نظام حكم بدأ يهدد مصالح دول

36 - نقصد بها إشعال الحرب بين البلد الثائر وبين بلد يجاوره أو إشعال فتنة مسلحة في بلد مجاور لتوريط البلد الثائر وإفهاكه عسكرياً، وهذا ما يحدث اليوم من طرف فرنسا وعملائها من حكومات عربية من خلال صناعة بؤرة توتر وصراع عسكري متمثلة في ليبيا لمحاولة زعزعة الاستقرار الجزائري بل لمحاولة زعزعة استقرار منطقة الاتحاد المغاربي ككل بغية كسر حركة الوعي الشعبي التي تسوده.

أخرى تهديدا مباشرا من خلال خلق سياسات
هضوية قد لا يتنبه إليها الشعب نفسه، وتعد
الثورة هنا ثورة عن غير وعي عن طريق
استغلال الأزمة الاقتصادية التي يصنعها الغرب
نفسه فيما يسمى بعقيدة الصدمة، يقول
جيفارا: "الثورة يصنعها الشرفاء، ويرثها
ويستغلها الأوغاد".

● الإعلام الكاذب ونشر الإشاعة: وهو
أسلوب ينتهج في حالتين هما استغلال النظام
الحاكم نفسه للإشاعة من أجل التوجيه أو
الكسر، واستغلال الغرب للإشاعة من أجل
التوجيه لا الكسر، ويتم استغلال السلطة
الرابعة ومواقع التواصل عن طريق التواطؤ
ويكون الهدف من ذلك صناعة شخصيات
عملية تستغل الثورة أو صناعة أزمة داخلية
تسوق إلى الحرب الأهلية أو التدخل المباشر،
قال عبد الوهاب البياتي: "ثورات الفقراء
يسرقها في كل الأزمان لصوص الثورات".

● المال الفاسد: وهو من أكثر الأساليب التي
تنتهجها الإمبريالية في استعمارها الجديد من

خلال طريقتين هما إشعال الثورة ودعمها أو استغلال ثورة ما وتوجيهها عن طريق المال، كما قال هوشي منه: "إذا أردت إن تفسد ثورة ما فأغدق عليها بالمال"، كما أن هذا الأسلوب قد يكون متداخلا مع الأول من خلال الدعم المباشر من طرف المستعمر كما حدث مع مظاهرات اليونان خلال أزمته الاقتصادية في إبريل 2010 ودعم الاتحاد الأوروبي لها خوفا من اتساع نطاق الوعي الثوري ليشمل أوروبا، أو من خلال ما تفعله أنظمة الحكم من شراء ذمم قادة الثورات لتوجيه الثورة أو شراء بعض وسائل الإعلام التي يثق فيها الشعب أو تقديم بعض الإصلاحات التي تهدئ بها الثوار وتكبح جماح الثورة.

وما يجدر التنويه إليه هو أن توجيه الثورة يستهدف مباشرة الوعي الشعبي؛ عن طريق إعادة صياغة هذا الوعي في الصورة التي يريدونها المستبد أو المستعمر في نفس الوقت الذي يبقى فيه الشعب ثائرا بشكل مؤقت

مخطط له، ولكن بعد النظر الشعبي والالتزام بالوعي الثوري والوعي بالقضية والبحث عن حقائق الأشياء وفضح المؤامرات ضد الثورة هو ما يفشل مخطط توجيهها ويقيها ثورة ذاتية شعبية ذات مبادئ وأهداف لا تتغير بتغير الأشخاص والظروف.

ما يعول عليه الثوار في أي فترة من تاريخ الثورات هو الوعي بما كان والوعي بما هو كائن والوعي بما يكون من أجل الحفاظ على أصالة الثورة وعدم اختراقها من الأطراف الثلاثة الذين ذكرناهم من قبل:

- النظام الحاكم المستبد.
- الدول الأجنبية.
- من يريد استغلال الثورة.

وهذا بالذات ما كنت أعنيه قبل خمس سنوات حين قلت: "نحن من نصنع الحكام، ونحن من يقرر ذهنياتهم وعقلياتهم في معاملتنا ووجهة نظرهم إلينا كشعوب، وهنا يتضح أننا في حاجة إلى ثورة فكرية عارمة للبحث عما يجب أن يكون انطلاقا مما كان"، وعلى هذا كان من واجبنا التنبيه قبل حراك 22 فبراير بشهر من أنه يجب التخلص من الإرث الاستعماري، وأنه لا بد من

إحداثا قطيعة تاريخية وذهنية عن كل ما يربطنا بالخارج من أجل النهوض بما هو مأمول في ذواتنا كجزائريين أولاً وكعرب ثانياً، ولعلي أقتبس هنا بعضاً مما كتبتة سابقاً عن التوجيه: "يضم الاستعمار التوجيهي كل ما يحدث اليوم من مظاهر السيطرة الأوروبية وأمريكية على الشعوب، ولكننا لا نعرف من ذلك إلا ما يسمى بالغزو الثقافي، في حين تغافل الكل عن الكثير من مظاهر الاستعمار اللامباشر والمباشر من خلال خلق سياسة التغريب ولا نقصد هنا المفهوم المعروف من التغريب بل نقصد به صناعة حتمية اجتماعية للدول المستعمرة تجعلها تشعر بعدم الانتماء إلى هذا العالم ومن هنا بدأ خلق العالمين المتقدم والمتخلف في حين رسمت دول مستعمرة عالماً للدول النامية بالتالي صناعة تميز طبقي عالمي يفصل بين التابع والمتبوع، فالدول³⁷ المغرّبة لا تجد في خضم كل الظروف التي تعيشها شعوبها إلا طريقتين:

- الأول: أن تنقذ شعوبها بالسير على خط الغرب.
- الثاني: أن تنقذ نفسها من ثورات شعوبها

37 - نقصد بها أنظمة الحكم في الوطن العربي خصوصاً.

فتتمسح بالغرب أيضا.

وفي كل الحالات ستظل الشعوب في حالة تبعية تامة
لسلطة الامبريالية الجديدة، وسرعان ما تذوب تلك
الشعوب في عالم لا تعيشه.

ومن الجدير بالذكر أن الفكرة الكولونيالية/
الامبريالية الجديدة هي السيطرة بالقرارات أولا وبصناعة
الأزمات ثانيا³⁸.

علينا أن نعي أن فقداننا لحریتنا بفعل الاستبداد
يكمن خلفه فقدان المستبد لحریته من خلال تحكّم طرف
ثالث في إرادته — نحن كما قيل: "أحرار بمقدار ما
يكون غيرنا أحرارا".

ما يجب فهمه هو أن أنظمة الحكم بعد الفترة
الاستعمارية قد سارت في نفس خطة فرض الوصاية بل
وأكثر من ذلك فأنظمة العالم الثالث في غالبها إن لم نقل
كلها قد سارت في طريق الوساطة السلطوية بين

38 - مقال للمؤلف بعنوان "الاستعمار التوجيهي" نشر
بتاريخ: 10 جانفي 2019 بعدة جرائد ومواقع وطنية
وعربية.

المستعمر والمستعمر، بمعنى أن الشعوب كانت مستعمرة إلى درجة أنها لم تكن لتستطيع أن تفعل شيئاً خارج دائرة الرضا الاستعماري على ما تفعله، ومن هنا كانت الخطر في كل الثورات التي قامت في العالم على مختلف أنواعها سواء كانت سياسية أو فكرية أو اقتصادية، ولعلنا نرى بوضوح فكرة صناعة الأزمات أو ما يسمى بعقيدة الصدمة الاقتصادية لكسر الأنظمة العادلة بإثارة شعوبها ضدها أو كسر ثورات الشعوب المنتفضة ضد أنظمتها الفاسدة، بل وأضيف إلى ذلك عقيدة الصدمة التي استخدمت الإرهاب بخلق تنظيمات إجرامية داخل الوطن العربي ككل من أجل كبح الشعوب عن الثورة ضد الأنظمة الفاسدة والمستبدة³⁹، كل ذلك من أجل توجيه

39 - ومن الجلي أن بعض الدول العربية قع وقعت في مستنقع صناعة الإرهاب وتورّطت في مخطط غربي كبير هدفه الأول تشويه صورة الإسلام في نظر الإنسان الغربي البسيط وبالتالي صناعة حاجز وإحداث قطيعة ذهنية مع الإسلام أو اعتناق -و حتى محاولة البحث عن تعاليمه إضافة إلى هدف آخر عو إحداث بؤر توتر ومناطق مزاع دائم لبث الرعب وكبح الوعي والثورة الإصلاحية وإهناك القوى العسكرية لتلك الدول وسهولة التحكم في اقتصادياتها وإعطاء الشرعية الدولية لتدخل

التفكير و الوعي الجماعي للشعوب وتحييده عن الوعي النهضوي والثورة الذاتية إلى الثورة من أجل خدمة المستعمر أو كسر الثورة التي تهدد المستعمر القديم.

فلنتذكر ذلك المقطع من بيان ثوار الفاتح من نوفمبر:
"ورغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملاؤها الإداريون و بعض محترفي السياسة الانتهازية"⁴⁰، لهذا فإن من واجب الثورة أن تحمي شعوبها ومن واجب الشعوب حماية ثوراتهم، قال نابوليون بونابرت: "في الثورة نوعان من الناس، من يقومون بالثورة و من يستفيدون منها"، فالثورة عندما تندلع والشعوب عندما تنتفض فهي لن تعود إلى مرحلة الصمت إلا بالوصول إلى الهدف، سواء كان هدفها الأصيل أو الهدف الذي وُجّهت إليه، وعلى هذا فما

الغرب في البلاد العربية وهذا ما حدث في العراق وسوريا وليبيا وغيرها من الدول.

⁴⁰ - وهذا بالفعل ما حدث ويحدث على الدوام وهو ما تعمل عليه مخابر الأزمات في العالم، وهو ما تنبه إلى صنّاع الثورة الجزائرية وحثّروا منه الشعب الجزائري، حيث كانت النتيجة هي نجاح الثورة التحريرية الكبرى ونيل الاستقلال.

دامت الثورة مستمرة فمن الواجب الوقوف للوصول إلى
أصالة الهدف والاحتراز من التوجيه، فلا فرق بين عقل
الحاكم والمحكوم، الفرق الوحيد في الوسائل، ووسيلة
خلاص المستبد هو العنف الذي يُفقد شرعيته كحاكم
بينما وسيلة الشعوب هو الاتحاد من أجل الوصول إلى
وطن يحفظ له: الحرية والعدل والمساواة، لذا فعلى الحكام
أن يعلموا أن الشعوب أعرف بنظريات الثورة منهم
بنظريات تدارك الوضع الثوري.

الثورة الشعبية وثورة الأشخاص

"لكل الناس وطن يعيشون فيه، إلا نحن

فلنا وطن يعيش فينا"

تشي جيفارا

لطالما انقسمت الفلسفة بين فلسفة أفراد وفلسفة مجتمع بأكمله، وفلسفة الثورة فلسفة شعوب، "الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية"⁴¹.

علينا بدءاً أن نعلم أن الثورتين الشعبية وثورة الأفراد تشتركان في كونهما ثورة مبادئ، وأهمما ثورة فكرة لا ثورة المطالبة بحقوق محدودة بل قد تنفي الذات وتطالب

⁴¹ - من بيان الفاتح من نوفمبر 1954.

بهدف الجماهير وهي الثورة المقدسة التي تكتب التاريخ
بأيادي البسطاء.

ولكن علينا أيضا أن نعلم أن فلسفة الثورة تكمن في
سرّ الجماعة لا في الأفراد وإن كانت الجماعة في أصلها
أفرادا، وإذا نظرنا في واقع الثورة التحريرية الكبرى فإن
فلسفة الثورة التحريرية الكبرى وفلسفة الثوار الجزائريين
كمنّت في إلقاء الثورة في أحضان الشعب فاحتضنها
الشعب الجزائري ككل وإن كانت بدأت بالشخصيات
الكبرى التي قادت الثورة التحريرية ضد المحتل الفرنسي،
وعلينا هنا أن نفهم جيدا أن تلك الثورة التي تعتبر
كأكثر الثورات تنظيما وإلهاما في التاريخ المعاصر لم تكن
لتنجح لولا تبني المجتمع ككل لمبادئها وأهدافها، تلك
المبادئ التي كانت تعبر عن كيان الشعب ككل، وتلك
الأهداف التي كانت تمثل حلما للجميع.

إذا تكلمنا هنا عن الثورات بكل أنواعها سواء كانت
مسلحة أو تغييرية أو فكرية أو نهضوية أو غير ذلك؛ فعلينا
أن نعلم أن نجاح الثورات لا يكون إلا بتبني المجتمع
ككل، فإذا كانت لا تمثل إلا أفرادا أو فئات معينة فإنها
ستنتهي في مهدها إلا أن يتم في لحظة ما شيوع الفكرة

تلك لتقع على واقع يعيشه المجتمع ككل فيتم تبني الشعب لها فتستنقذ من بين يدي الفناء، والتاريخ يشهد على الكثير من الثورات تلك، وعلى الكثير من الأفكار التي تبنتها الشعوب، والأخرى التي لم تحي إلا بعد أن احتضنتها المجتمعات بعد موت أصحابها وفناء الداعين إليها.

الجدير بنا أن نعلم أن داخل كل إنسان "ثائر"، والثورة ليست إلا تعبيراً عن إنسانية الإنسان في ذاته، فلا وجود لثورة تناقض الشعور الإنساني بالحرية والذاتية والصدق والاتحاد، لا وجود لثورة ضد العدل والتراثة، فالثورة تعبير عن رفض الشذوذ عن الإنسانية، والثورة هي ذلك الفعل ضد الاستبداد ومحاولة نفي الآخر، فالمجتمع لا يثور إلا ضد من يسلبه ما يشعره بكيانه، والفرد باعتباره فاعلاً داخل ذلك المجتمع لا يثور إلا ضد ما يكبح انتماءه ويشعره بالغرابة داخل وطنه، باختصار لا تكون الثورة إلا ضد من يسلبه ما يمتلك.

ولعلنا نفهم هنا ذلك السر الذي سرقه روسو من عمر ابن الخطاب في تنظيره للثورة الفرنسية التي قامت بعده حيث كان يرى أن الفرنسي أصبح عبداً في نظام

المجتمع والحكم الفرنسي بعد أن سُلِبَ حريته التي ولدت معه.

وإذا أردنا الحديث عن ثورة الأشخاص والثورة الشعبية فعلينا أن نبحث أولاً عن منبع الثورة، إذ الثورة ولاسيما الثورات الاجتماعية والسياسية ليست فعلاً، وإنما هي ردة فعل، وردة الفعل لا تكون إلا بفعل سابق من طرف من يثور الناس ضده، ومن هنا فلا يحق لمن ثار شعبه عليه أن يلوم الثوار فيما يطالبونه به، إذ الفاعل في أصله هو نفسه، ولاسيما إذا تحدثنا عن الثورات الشعبية، والتي تصنع نوعاً من الصدمة للسلطة الحاكمة إذا كانت دولة مستقلة، بينما هي نتيجة حتمية متوقعة بالنسبة للمحتل، وهي ليست كالثورات الفردية في قوتها وقوة صدمتها للسلطة.

قلنا من قبل أن الثورة وليدة أزمة، وهذا أمر جلي في الثورات المسلحة كثورة الفاتح من نوفمبر 1954 ضد الاحتلال الفرنسي والثورات السلمية كثورة 22 فبراير 2019 ضد النظام الحاكم في الجزائر أو ضد ما يسمى بالعصابة التي استولت على الجمهورية الأولى التي تبنت الشرعية الثورية لأكثر من خمسة عقود من الزمن أي منذ

1962، حيث كانت الأزمة قبل 1962 هي الاحتلال،
بينما صارت الأزمة بعد ذلك هي دكتاتورية الفعل
التاريخي أو دكتاتورية استغلال الكفاح الثوري لإعطاء
شرعية للحاكم هي الشرعية الثورية.

وحتى وإن كانت هذه الشرعية حتمية خلال عقود
من الزمن كون الشعب الجزائري كله كان خارجا من
مرحلة ثورة؛ إلا أنه حتى هذه الشرعية قد سُرقَت فيما
بعد فصارت مجرد ادعاء، وهنا بدأ المجتمع ككل يرى
هذا، أي أن الادعاء هو أزمة، ورغم كل ذلك لم يظهر
كأزمة حقيقية إلا بعد أن أتت أجيال لم تعيش الثورة
ورأت لنفسها حقا في اختيار الحاكم ونظام الحكم
وشخصياته سواء كانت ثورية أم لا، ثم احتدم الوضع إلى
أن صرنا اليوم نرى مطلب إلغاء الشرعية الثورية تماما ولو
بالغاء شخصيات ثورية؛ لا بإلغائها كرفض ولكن إغائها
بكونها تناقض مطلب الشعب المتمثل في اعتلاء الشباب
سدة الحكم في الجزائر لتأسيس جمهورية ثانية ذات
شرعية دستورية.

من واجبنا هنا أن ننوه إلى أكبر ما قد يعترض نجاح
الثورة الشعبية ويكون ذلك بتسلط الأشخاص عليها،

وعلينا هنا أن نفهم أن هناك من الشخصيات من يستغل الجماعة⁴² ليظهر كالمناضل بينهم، ومنهم من تصنعه الظروف فينصبه الشعب قائدا على الثورة، وتتحول الثورة هنا من ثورة شعبية تستمر بالفكرة إلى ثورة تنتهي بنهاية قادتها.

● أما عن الأولى: أن يستغل شخص ما أو مجموعة من الأشخاص ثورة شعب ما ليظهروا على أنهم مناضلون؛ وبالتالي سهولة ركوب الثورة وسهولة قيادتها لاسيما إذا كانوا أصحاب كاريزما تلفت الانتباه فهذا أمر وارد جدا أكثر من الثاني، وهو ما سنراه خلال انتفاضة الشعب الجزائري، بل وفي هذه اللحظة⁴³ نراه بوضوح من خلال تبني

42 - نقصد بالجماعة بمفهومها الاجتماعي أي الجماعة الثورية أي الشعب الثائر.

43 - مارس 2019، حيث رأينا شخصيات تعمدت الاصطدام مع بعض مؤسسات الدولة بتصريحات خطيرة صاروا بعدها معتقلين من أجل الحراك وبالتالي الظهور كزعماء للحراك رغم أن التاريخ يشهد أن بعض هؤلاء انفصاليين فقط، غير أن ذلك لا يخرجهم عن دائرة الوطن بل لابد من في الحركة الاجتماعية لأي شعب أن يستوعب الوطن والمجتمع

بعض الهيئات والشخصيات والناشطين للثورة،
وبعض الأحزاب الجهرية المعارضة التي تريد
ركوب الثورة من خلال تأسيس ائتلاف من
أجل التغيير⁴⁴ بعد الفشل الذريع لأحزاب
المعارضة الكبرى في الجزائر والتي ليس لها من
المعارضة إلا الاسم، وبعض الشخصيات المعارضة
التي سكتت عن الحق ورفضها الحراك الشعبي،
وليس هذا جديدا على الشعب الجزائري، فتاريخ
الثورة التحريرية يؤكد ركوب بعض
الشخصيات لسفينة الدولة المستقلة بعد الثورة
كجماعة لاكوست أو ما يسمى ضباط فرنسا
الذي تدرّبوا في المدارس العسكرية الفرنسية ثم
انضموا إلى الثورة التحريرية الكبرى في أواخرها،
وتولوا مناصب حساسة فيما بعد ورأينا قرارات

ذلك التنوع الذي يعد ثروة حقيقية ولكن مع المحافظة على
الوحدة الاجتماعية وقبول الآخر والعمل على صناعة التاريخ
الواحد.

44 - الأمر الذي رفضه الشعب الجزائري وسرعان ما تلاشت
تلك التجمعات الحزبية بمجرد عدم اهتمام الحراك لها ورفضه لها
كممثل له وبالتالي إفشال مخطط ركوب الحراك.

مصيرية بأيديهم خلال فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، ولهذا رأينا الشعب يرفض تماما تمثيل الحراك الشعبي من طرف من له تاريخ مع النظام الجزائري من قريب أو من بعيد.

والجدير بالذكر أن البعض يحاول صناعة تاريخ ثوري جديد من خلال بعض المقترحات التي يطرحها على مواقع التواصل الاجتماعي والتحريض على مواصلة المسيرات السلمية لأنه يعلم يقينا أن الحراك متواصل⁴⁵، ولكن شيوع فكرة أن فلانا هو من يوجه الفعل الشعبي يعطي مصداقية له بقيادة الحراك⁴⁶، وليس ذلك إلا

45 - وهذا طبعا تحصيل حاصل فالحراك تواصل بشكل طبيعي لازم، غير أن هؤلاء يحاولون الظهور وكأن الحراك يتواصل بفعل دعوتهم هم لمواصلته، رغم أن الحراك في ذاته أي بكل أطراف المجتمع الثائر يواصل ذلك لمعرفة لحيثيات الأمور لا لأنهم يفعلون ما يتصوره هؤلاء الانتهازيين.

46 - وهذا ما تنبه له الشعب الجزائري منذ البداية ولهذا أعلنها صريحة بأن الشعب يريد، وهذا ما جعل هؤلاء الانتهازيين يكونون مرنين مع وجهة نظر الشعب وبالتالي قالوا هم على

حيلة لركوب موجة الثورة علما أن الشعب رافض تماما لأي كلام كهذا من داخل الجزائر وخارجها، ولاسيما الطرف الثاني الذي يتكلم باسم الشعب من خارج الوطن، قال جوزيف ستالين: "لا يمكنك إشعال ثورة بقفازات من الحرير"، وفي كلام علي شريعتي ما هو أكثر صدقا من ذلك: "واقع كل ثورة بعد سقوط الدكتاتور، يذهب الثائر إلى الراحة فيخلد إلى النوم، ويستيقظ المتخاذل من نومه بكل نشاطه ليستلم السلطة".

وهذا ما يقال أن الشهيد العربي بن مهيدي قد تنبه إليه خلال الثورة التحريرية في رؤيته الاستشرافية لمرحلة الاستقلال فقال رحمه الله:

منوال الحراك لا وجود لقيادة للحراك وبالتالي كأهم هم من طلبوا ذلك والشعب تبعهم عليه رغم أن الواقع يقول أنهم لا يتبعون الجزرة التي يضعها الشعب أمامهم ليسيروا وفق الشعب أرادة فقط لاسيما وأن هؤلاء لا يملكون شرعية الكلام باسم الحراك لأنهم أصلا خارج الوطن وتحت حماية الغرب الذي لم يخرج الشعب الجزائري والشعوب العربية الأخرى إلا لقطع الصلة به وانهاء استعمارهم الخفي.

"أريد أن أعذب حتى أتأكد أن جسدي البائس لن يخونني، أريد أن تتحقق رغبتني، فعندما نتحرر من الاستعمار ستحدث أشياء فظيعة، سننسى معاناة شعبنا لتتنافس على الكراسي، سيكون هناك صراع من أجل السلطة، نحن هنا في حرب التحرير والبعض في تونس يفكرون فيما بعد الحرب".

● وأما عن الثانية: حيث تصنع الظروف أشخاصا يزكيهم الشعب لقيادته، فأغلب ما يكون هذا في الثورة المسلحة لحادث ما قد يحدث فجأة لشخص ما فيظهر في صورة المناضل الذي ينشده الشعب كله فينصبه الشعب لقيادته، ونفس الأمر قد يكون بالنسبة للثورات السلمية إلا أن الفرق هنا يكون في مستوى النضال فالفرق بين الثورتين كبير، فكثير من قيادات من الثورات المسلحة كانوا هاربين من العدو ولم يكونوا ثوريين بالأصل بل قد يكون انضمامهم إلى الثورة لقضية يعاقب عليها العدو كقتل أحد الأتباع فيظهر ذلك في صورة المنتمي إلى الثورة فيقبله الثوار بسرعة إلى درجة الثقة العمياء فيه

علما أنه قد لا يقتنع بالمبادئ الثورية التي يحملها مع معه أصلا، وأغلب الثوار قديما لاسيما في الحروب الكلاسيكية محكوم عليهم بالإعدام قبل أن ينضم إلى الثورة وأغلبهم قتلة وخارجون ليس على القانون فحسب بل حتى على أعراف المجتمع الذي ينتمون إليه وهذا ما حدث في العشرية السوداء بالجزائر وهو نفس قصص الكثيرين ممن انضم إلى الجماعات الإرهابية في العالم ككل كتنظيم القاعدة وتنظيم الدولة المنسوبة إلى الإسلام في العراق والشام المسماة بداعش⁴⁷ وهي إستراتيجية جديدة لكبريات الدول في توسيع نطاق الجماعات الإرهابية من

47 - إذ أغلب هؤلاء ليسوا إلا من القتل والسفاحين والانتهازيين الفارين من عقوبة السجن أو الموت، وبالتالي فملاذهم الوحيد هو الفرار إلى ما يضمن لهم العيش مدة من الزمن على الأقل والنجاة من مصيرهم المحتوم، والواقع التاريخي يشهد بذلك، غير أن الزعامة الفردية لبعض الثورات قد تكون حقا لشخصيات معارضة نزيهة ولكنها داخل نفس البوتقة فهي شخصيات هاربة من مصيرها إلى قدر قيادة ثورة ضد من حكم عليها بذلك.

جهة والتخلص من الخارجين عن القانون من جهة وخدمة هؤلاء المنبوذين لهم بطريقة غير علنية من جهة ثالثة، وإذا تحدثنا عن الثورات المعروفة لا عن الجماعات — إن التاريخ يشهد بأن هؤلاء القادة المزيفين قد انقلبوا على مبادئ ثورتهم بعد استتباب الأمن وامتلاك السلطة، ولعل هذا يمثل جزءا من حقيقة نابوليون الذي نسف مبادئ الثورة الفرنسية ونصب نفسه إمبراطورا على الشعب في نفس الوقت الذي لم يستطع فيه محو الثورة كونها هي من صنعت له شرعيته.

ونفس الشيء حدث في الاتحاد السوفياتي بعد فلاديمير لينين حيث حدث نوع من الانقلاب على المبادئ الماركسية بسيطرة البزجوازية على مقاليد التحكم في رقاب الشعوب السوفياتية بعد أن ساهموا في الثورة البلشفية، وهذا ما أنتج ظهور عدة مدارس ماركسية تنظيرية، الأمر الذي تنبه إليه الزعيم الصيني ماوتسي تونغ ورسم لشعبه مدرسة ماركسية لينينية جديدة تتبنى المبادئ الأصلية للشيوعية إلى درجة أنها عرفت

بالشيوعية الصينية.

وكذلك جرى نفس الأمر خلال مرحلة ما بعد الثورة الجزائرية من خلال نسف مبادئ أول نوفمبر وإن كانت السلطة تنادي بتطبيقها له وهذا لا يخفى على من له دراية بطبيعة الحكم في الجزائر، ولهذا ظل مؤتمر الصومام يمثل إشكالية في البلاد حتى بعد الاستقلال الجزائري من خلال الاعتراف بقيادة الثورة، لولا أن الأمر تم حسمه نوعاً ما خلال الثورة بالتصفيات الجسدية للنخب الثورية⁴⁸، ولكن الحقيقة تقول أنه تم نسف

48 - إن الخلاف الواقع بين الكثير من المؤرخين والأكاديميين حول بعض الأحداث الواقعة خلال مرحلة الثورة التحريرية إلا أن الواجب عدم إصدار محاکمات دون معرفة حقيقة الواقع المعيش حينها بدل الواقع التاريخي النسبي، فمن وجهة نظر بعيدة عن العاطفة كان الخلاف في الثورة التحريرية نتيجة وجهات نظر لا يمكن اتهامها بعدم الوطنية فكل وجهة نظر ولا بد أنها لم تؤسس إلا لحماية الثورة والمحافظة على الوطن ولا يمكن اتهام أي شخص بما لا دليل عليه لاسيما وأن الثورة التحريرية كانت ثورة مسلحة لا بد فيها من مراعاة جانب الحيطة والحذر من أي شيء قد يؤدي إلى إجهاضها، وبالتالي

مبادئ بيان أول نوفمبر حول الدولة الموعودة بعد التحرر من المحتل الفرنسي، فبدأت السلطة لاسيما في السنوات الأخيرة من حياة الرئيس الراحل هواري بومدين تجتذب من طرف بعض من شاركوا في الثورة في نفس الوقت الذي استبعدت الكثير من الشخصيات الثورية الكبيرة؛ بل وطال بعضها الاغتيال وبعضها النفي خارج البلاد، وهذا ما يحدث دائما بعد الثورة إذا لم يتنبه الشعب إلى من يوليه السلطة، ولهذا فنحن نحذر من تكرار نفس تلك التجارب ونحذر من صعود البرجوازية السياسية إن صح التعبير إلى مراكز السلطة، لاسيما إذا امتزجت السياسة بالمال وخصوصا المال الفاسد، فإذا حدث أن وقع هذا فسيشهد التاريخ على إخفاق الثورة السلمية للتغيير في الجزائر، "فالذي لا يعرف

فالواقع المعيش أكثر غموضا من تحليلات المؤرخين والساسة ومن هنا رأينا الحراك الواعي بتاريخه يحمل صور كافة شهداء الثورة التحريرية حتى هؤلاء الذين عُرفوا بالاختلاف في طريقة التسيير وكان الحراك يقول بكل ثقة: أن جميع هؤلاء كانوا شهداء الواجب الوطني وكلهم خدموا مصلحة الوطن.

التاريخ محكوم عليه بتكراره" كما قال الثائر كارل ماركس.

إضافة إلى ما قلناه، فنحن نحذر بشكل أكبر من محاولات الثورة المضادة كاستعادة بعض الشخصيات القيادية السيطرة على السلطة بنفس درجة السيطرة إبان التسعينيات من القرن الماضي، ذلك أنه علينا أن نعرف بأن الجزائر كغيرها من الدول العربية لم تسر في خط الدولة المدنية بشكل كامل، رغم ما نراه من صورة مدنية للحكم في الجزائر، غير أن ما يمكن أن يعمل عليه المتسلطون في الجيش هو صناعة نفس سيناريوهات تحكم بعض الشخصيات الغامضة في الوطن العربي والمتحكمة في دواليب السلطة، ومن الممكن جدا أن تتكرر نفس صورة السيطرة من وراء الكواليس من طرف الجيش بعبارة أخرى هناك احتمال كبير يجب الحذر منه هو سرقة الثورة لتكون ثورة جنرالات بدل أن تكون ثورة شعوب، وهو استنساخ لما حدث في مصر من وصول عبد الفتاح السيسي إلى منصب رئيس الجمهورية، وبالتالي فالشعب الجزائري بمختلف أطيافه سيكون في صراع قوي من أجل تأسيس الدولة المدنية التي تمثل الصورة الوحيدة للجمهورية الثانية التي ستخرج من إطار الشرعية الثورية

إلى إطار الشرعية الدستورية التي ستكفل بدورها للشعب ككل الحرية والعدل والمساواة باعتبار المواطنة لا باعتبار نهب حقوق الآخرين باسم الشرعية الثورية، وكرسالة من الشعب إلى السلطة مقولة جيفارا: "قد أ فشل، ولكن لا يمكنني أن أكرر نفس الفشل مرتين".

دعونا هنا نتحدث عن العلاقة بين ثورة الأشخاص والنخبة الجزائرية في الواقع الراهن في البلاد، سبق أن قلنا أن ثورة الأشخاص تختلف تماما عن الثورة الشعبية وإن كان للنخبة دور الإعلان عن تطلعات الشعوب، ولكن علينا أن نعرف أن الثورة السلمية في الجزائر هي ثورة شعبية بكل مقاييس الثورة، وليست ثورة أشخاص، حيث لا تعتبر النخبة إلا مجرد مواطنين لا رأي لهم إلا الرأي العام فإذا انزاح خطاب النخبة من الرأي العام إلى إثبات شيء آخر لم يقله الشعب ولو كان هدفا نبيلًا فاعلم أن تلك النخبة تريد سرقة الثورة وركوبها، لنسفها مبادئ الثورة وإن لم تنفها، وهو نفس ما حدث من طرف نابوليون بالثورة الفرنسية.

ما يجب أن نعلمه هو أن الخطاب سيتغير إذا ما سمح الشعب لبعض من يرى في نفسه فرقا بينه وبين عامة الناس

من مبادئ الثورة إلى مبادئ الشخص بل قد يصل إلى نفي الشعب وإلغاء التفكير العام أو توجيهه بخطاب شخصاني لركوب الثورة وصناعة المصلحة الشخصية سواء بتولي السلطة أو بالظهور كقادة للحراك الثوري⁴⁹ وبالتالي نحو التاريخ الشعبي العام حيث لا يرى من الجدار الصلب الذي يمثل الشعب إلا تلك الصبغة المزيفة التي تمثل النخبة.

ما يجب معرفته أن الحراك الشعبي اليوم في الجزائر أحدث قطيعة تامة مع النخبة كنخبة لا كمواطنين فيما ألقى كل من له تاريخ مع النظام القائم من خلال جماعية عدم الثقة الذي نتج عن تاريخ السلطة في البلاد وعلاقتها بالشعب، بالتالي نفى الشعب أن يتحدث أحد من هؤلاء باسمه، ببساطة لأن النخبة ساهمت في صناعة هذا الواقع، فهم يحتلون المركز الثاني بعد السلطة في صناعة الواقع

49 - هذا ما رأيناه من محاولات لركوب الحراك الشعبي الجزائري نداءً بالمرحلة الانتقالية من جهة والبروز كشخصيات قائدة للحراك تخدم مصالح أجنبية من جهة كالذين كانوا يدفعون بالشعب نحو الجهول وهم قابعون تحت حماية دول أجنبية.

المتدهور، ولعل هذا يذكرنا بكلام جون بول سارتر حيث قال: "أينما حل الظلم فنحن مسئولون عنه"؛ بالتالي فالأفضل للنخبة الجزائرية اليوم هو الاعتراف بالخطأ لا بركوب الواقع ، فجهل النخبة اليوم يتمثل في صناعة تلك الهالة على أنفسهم من خلال المقارنة الكاذبة بين الذات والآخر هذا إذا لم تكن النخبة قد ألغت المجتمع لظنها أن ثقافتهم كنخبة أعلى مستوى من الثقافة العامة وهذه مقارنة لا تصح على شباب القرن الواحد والعشرين والذي يمارس حروب الجيل الخامس إلى درجة توريط النخبة أنفسهم في حربهم بحيث يتم نسف النخبة بأكملها، لذا فعلى النخب الجزائرية ألا تفكر بمنطق الستينيات من القرن الماضي وللأسف فهي لا تفكر إلا بهذا المنطق.

هنا علينا أن نعرف موقع النخبة من الحراك الشعبي والثورة الشعبية، على النخبة ألا تصنع لنفسها وهما زائفا حول ركوب الحراك الشعبي، فلا وجود لثورة أشخاص في الجزائر، فالمتقفون "هم أكثر الناس قدرة على الخيانة، لأنهم أكثرهم قدرة على تبريرها" كما يقول فلاديمير لينين، لذا فعلى أن نحذر النخبة من مغبة ذلك وأن نبه

الشعب الذي يمثل السيادة في ثورته أن ركوب شخصيات مؤثرة للحراك الشعبي سيؤدي إلا انقسام الثورة ومنه إلى انقسام الشعب نفسه فإذا كانت السلطة شاغرة أدى ذلك إلى انقسام البلاد بكل سهولة ولكن ذلك لن يحدث إلا إذا قبل الشعب نفسه تحويل حراكه من ثورة شعبية إلى ثورة أشخاص، وهذا أمر وارد إذا لم يتنبه الشعب إلى خطورة الميل من مبدأ بناء جمهورية ثانية شعارها الحرية والعدل والمساواة وقوامها الوحدة والوطنية، إلى مبادئ شخصية تتحكم فيها رؤوس معدودة، ولكن الأزمات السياسية للبلاد والتي عاشها الشعب الجزائري منذ الاحتلال وحتى اليوم سيعطي دروسا للرأي العام بالتالي فلن تغير السياسات والأفكار من هدفه المنشود شيئا.

الهوية الوطنية في مواجهة الهويات

"أفضل الحرية المحفوظة بالمخاطر،

على السلام المكبل بالعبودية"

جون بول سارتر

الحقيقة أن هذا الموضوع من أخطر المواضيع في
فلسفة الذات ومن بين أخطر المواضيع داخل المجتمعات؛
لأنه بكل صراحة الفكرة الأساسية التي ارتكزت عليها
فلسفة الاستعمار الفرنسي والتي تبعتها كل الحركات
الكولونيالية الاستتصالية فيما بعد، إذ مما عملت عليه
الحركات الاستعمارية بجديّة هو موضوع تقسيم الشعوب
المستعمرة عن طريق خلق هويات متعددة لخلق أجيال
من نفس المجتمع لا تشعر بالانتماء إليه وإنما تشعر
بانتماء آخر ضيق داخل مجتمع جزئي مغلق على نفسه؛
وبالتالي تدمير الهوية الكبرى بصناعة هويات صغيرة

تقسم الشعب وتجعله يتناحر ويدمر نفسه تدميرا ذاتيا دون أن يستطيع تدارك الصاعق الذي سينهي كل تلك الهويات المصطنعة.

علينا أن ننظر إلى الموضوع من جهة ما لا بد منه لمعرفة ما لا يجب فعله والعمل عليه، فنحن نقول أن الثورة تتعين بطبيعة العقل الثوري ومن هنا تختلف الثورات بحسب الحد الثوري للفكرة أو بعبارة أخرى بحسب الفئات المنتمية إلى الثورة والمتبينة لمبادئها، ونقصد بذلك إشكالية الهوية في الثورة.

إن الواقع الراهن لحركات التحرر من الأنظمة سواء في العالم العربي أو العالم ككل مرتبط بهوية جامعة لحدود ما يدافعون عنه، فإذا كان ما يدافعون عنه فكرة عرقية فلا اعتبار هنا للحد الجغرافي بل قد تكون هذه الثورة سببا في انقسام البلاد تلك كما قد تساهم في حرب بين عدة دول تحمل في حدودها نفس العرق؛ ما يؤدي إلى بناء دويلات جديدة كما يشهد التاريخ بذلك، أو دول كبرى وهذه قليلة التحقق في ظل دفاع الدول المستهدفة بتلك الثورة عن وحدتها الجغرافية، نفس الأمر إلى أي مقوم جزئي يطغى على الهوية الوطنية، وهذا ما

تعمل عليه مخابر إدارة الأزمات ونقصد بذلك خلق
دويلات جديدة ضعيفة تساهم بدورها في إضعاف
الدولة الأم بذلك الانقسام⁵⁰.

50 - وهذا ما حدث ويحدث في الكثير من الدول العربية
كالسودان وليبيا واليمن وغيرها وما قيل - في الصحافة الوطنية
الجزائرية وعلى ألسنة بعض الأكاديميين الجزائريين كالدكتور
عبد العالي رزاقى - أنه حدث قبل أيام بعد كتابتنا لهذا المقال
بمدة، حيث تم محاولة صناعة أزمة الهوية وتقسيم البلاد بخلق
حكومات متعددة ذات عرقيات وهويات متنوعة خلال
اجتماع سري ضم أخ الرئيس الجزائري السابق سعيد بوتفليقة
وقائدي المخابرات الجزائرية سابقا الفريق المتقاعد محمد مدين
واللواء بشير طرطاق وقيادة حزب جبهة التحرير والتجمع
الوطني الديمقراطي وتجمع أمل الجزائر والحركة الشعبية الجزائرية
يوم الأربعاء 27 مارس 2019، وهو أمر غير مؤكد طبعا -
لعدم فصل العدالة في حيثياته - وذلك استنادا إلى أن البيان
الذي أصدره الجيش حول الواقعة لم يذكر أي أسماء، حيث
حاولوا - بحسب ما شاع لا بما ثبت - توريط الرئيس الأسبق
ليامين زروال لولا تفتنه وتداركه للأزمة وحله لها رفقة الجيش
الشعبي الوطني وإخراج الجزائر من ورطة التقسيم والتناحر،
كما يجدر التنبيه على أن قضية التآمر تبقى محل بحث العدالة في

هذا ما علينا الحذر منه، ولا أقصد بذلك فقط حالة الثورة الجزائرية التي نشهدها اليوم ضد النظام بل الدول الإسلامية ككل مهددة بذلك وإن كنا نناصر حركات التحرر الجديدة من دكتاتوريات المجالس، وبما أننا نتكلم عن الجزائر فمن الجدير بالذكر أن التجربة الجزائرية هذه

الفصل فيها بين بيان حقيقتها أو إثبات العكس عن طريق إثبات براءة المتهمين بحيث ربما تكون القصة جزءا من بروباغندا غير واضحة لاسيما مع شح المعلومات ورواج فكرة تصفية الحسابات وبالتالي عدم اتهامنا لأي طرف ما لم تفصل العدالة في ذلك.

غير أنه يجب علينا الحذر أكثر، فما لم يفهمه الحكام المسلمون هو أنه على الخونة من البراغماتيين الذاتيين أن يقرؤوا تاريخ أمثالهم، فتشارلز الأول ملك إنجلترا اصطدم في حرب طاحنة مع شعبه رضخ فيها لمطالب الشعب علنا ولكنه كان يخفي نيته في القضاء عليه عن طريق مفاوضة ملوك أوروبا لإعانتته على قمع الثورة، ما أسفر عن محاكمته بتهمة الخيانة وإعدامه أمام الجماهير الثائرة ضده، إن لم يفهموا هذا فعلى الشعوب أن تتوقع أعظم الخيانات للأوطان من طرف حكامهم من ملوك ومستبدين حتى بعد إسقاطهم من على صهوة جواد السلطة. إن مصلحة الأمة تقتضي التضحيات بالمصالح الشخصية لصناعة التاريخ.

ستستسخ في العديد من دول العالم العربي والإسلامي إن لم نقل أنها ستكون بداية نوع جديد من الثورات لبناء عصر الجمهوريات الجديد والذي سيسفر عن اتحاد الجمهوريات الإسلامية الأمر الذي لن يوافقنا أحد على صحة حدوثه مستقبلا، ولعله سيكون لنا في ذلك حديث آخر ليس هذا موضعه.

علينا أن نعلم كما قلنا منذ قليل أن العمل الثوري مرتبط بحدود ما يدافع عنه، فإذا كان الهدف من الثورة ولاسيما إذا كانت سلمية هو إسقاط نظام الحكم القائم فهذا يعني أن الهوية الوطنية التي يحكمها مبدأ الانتماء إلى الوطن الواحد بكل حدوده الجغرافية هي الهوية الوحيدة التي تقود الشعب ككل في نضاله الثوري ضد الاستبداد وهذا ما نصت عليه فلسفة ثورة التحرير الجزائرية في بيان الفاتح من نوفمبر: "أيها الشعب الجزائري، أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية، أنتم الذين ستصعدون حكمكم بشأننا؛ حيث يكون الوطن هو المعيار للعمل الثوري وبالتالي انتفاء كل ما يمكن تقسيمه.

ينتهي خلال هذه المرحلة كل ما يحاول بعض مديري الأزمات ترويجه على أساس أنه الهوية الوحيدة التي يجب الدفاع عنها، هذا طبعاً خلال مرحلة الثورة أي مرحلة ما قبل التأسيس لما يراد تأسيسه وما يريد الشعب الجزائري هو الجمهورية الثانية وهي بذاتها الجمهورية النوفمبرية، وعلينا التأكيد على طبيعة التغير الفكري خلال مرحلة الثورة، فمجرد سقوط النظام الحاكم سيكون الشعب عرضة لأكبر خطر في التاريخ ألا وهو ظهور الهويات الكاسرة للهوية الوطنية بعبارة أخرى ظهور هويات كاسرة للوطن نفسه، وبالتالي فخطر فشل الثورة لا يتوقف بسقوط نظام ما أو تحقق مطالب الشعب وكما قال الثائر ماو تسي تونغ: "من يقوم بنصف ثورة كمن يحفر قبره بيده"، ولهذا فعلى أن نحذر من ظهور ذلك داخل البلد أو من خارجه، فالاحتراز من ركوب الثورة لا يكون سابقاً لإسقاط الهدف فحسب، بل علينا أن نعلم يقيناً أن الألاعيب السياسية الكبرى لإثارة البلبلة والفتنة وتقسيم البلاد عن طريق ركوب أشخاص معينين لنجاح الثورة لينادوا بما يثير النزعة العرقية والطائفية في نفوس الشعب ككل ليس إلا طمعاً في السلطة بخدمة أجنحة خارجية تدعم هؤلاء الشخصيات ليتسلطوا على قسم من

الشعب من جهة وكسر وحدة البلد من جهة أخرى وهذا لا يخفى من خلال العمل الدؤوب للمخابرات الأمريكية والفرنسية وحتى من طرف بعض الدول العربية لصناعة هذا السيناريو؛ باللعب على وتر قضية العرق واللغة والتوجه الفكري، علما أن الشعب الجزائري قد حسم الخلاف حول القضية بندائه بجزائرية الجزائري أي بالتصريح بالهوية الوطنية التي تنفي أو بتعبير أصدق تجمع كل ما يسميه الغرب بالهويات ونسبته مقومات الهوية الجزائرية، وهذا ما سيحدث في كل دول العالم العربي إن لم تتنبه له الشعوب العربية، فتجسيد الهوية الوطنية لكل وطن من الأوطان ينقذ الدول من حيلة التقسيم باسم الهويات المتعددة، وأما عن العلاقات بين الدول ككل فسيتم ذلك عن طريق الانتماء التاريخي أو أي انتماء جامع سواء اختلف هذا الانتماء من دول إلى أخرى أو اتحد في شكل واحد هو الأمة ككل.

يجدر بالذكر أن الانتماء قضية فكرية يصنعها الوعي الجماعي بطريقة ما توحد بين الأفراد والجماعات، فالفرد في وجوده لا انتماء له في الحقيقة؛ ولكن ذلك الشيء الذي لا يغادره من الحاجة إلى غيره

هو الارتباط الذي نسميه انتماء، وهو ليس إلا حالة فكرية لا علاقة لها بالواقع المادي للفرد كعنصر مستقل في وجوده عن الآخر، إذا فهمنا هذا علمنا يقينا أن الفكر البشري قد يصل إلى مرحلة وحدة الفكر أو ما نسميه بالوحدة الذهنية تلك التي تصنع له انتماء ينفي عنه كل الانتماءات الأخرى، ذلك هو السبيل الذي سينقذ المجتمعات من الانقسام، وكمثال طريف على أن الانتماء ليس إلا قضية صورية فكرية، هو أن يتصور الإنسان نفسه تائها في الكون فنسأله: عمن سيبحث حينها؟، سيقول: كوكب الأرض بحكم الانتماء إليها، ولن يقول طبعا: أهلي، فإذا وجد الأرض بحث عن قارته، فإن وجدها بحث عن بلده، فإن وجدته توجهه إلى قريته، فإن وصل قصد أهله، كل ذلك بحكم الانتماء إلى ما يبحث عنه، ونرى هنا اختلاف مستويات تلك الانتماءات المتعددة، والتي تمثل مستويات من التفكير، فإذا فهمنا هذا فسنفهم السبب في خلق العدو للهويات المتعددة للمجتمع الواحد الأمر الذي يجب الحذر منه بنفس مستوى خطورته، ولبيان خطورته نأخذ مثالا شبيها بالذي سبق فنقول: أن العقل البشري مهما تعصب لقضية هوية ما فهو بشكل لا واعى وخارج إرادة

سيطرته العقلية على تفكير ينفي الهويات الجزئية بمجرد
تهديد الهوية الكبرى والتي قلنا هنا أنها يمكن أن تكون
الوطنية، فإذا تأكد شخص ما أن أحدا ما ينوي تفجير
قنبلة قادرة على تدمير كوكب الأرض ككل وهو يعلم
أنها لن تُفجّر في بلده طبعاً، فإنه بوعي منه أو بدون وعي
سيرفض ذلك الفعل بشكل فوري وسيحاول إحباط ذلك
بأي طريقة كانت، لأنه يعلم يقيناً أن تدمير الأرض تدمير
لبلده الذي سينتج عنه تدميره هو نفسه، نفس الأمر فيما
نحذر منه، إن تدمير الهوية الوطنية بخلق هويات متعددة
تفجر الوضع ذاتياً وهو أكبر خطر على المنتمين للوطن
ككل، الأمر الذي تنبه إليه كبار الثوار الجزائريين وأقصد
بالذكر الشهيد الراحل العقيد شعباني والمناضل الحر
حسين آيت أحمد رحمهما الله في خلافهما مع هواري
بومدين رحمه الله سنة 1963 فمجرد تهديد سلطة
المغرب الأقصى للتراب الوطني الجزائري انضم شعباني
وآيت أحمد رحمهما الله إلى الصفوف الأولى على الحدود
الغربية للبلاد دفاعاً عن الوحدة الترابية للوطن، الأمر الذي
أنقذ الجزائر من خطر مؤكد، وهو ما يجب التنبيه إليه إلى
جانب الحذر من مغبة الوقوع في شرك خبراء وصناع
الأزمات في العالم.

علينا أن نفهم أن ما يستخدمه العدو مما يسميه هويات متعددة هي في أصلها مقومات الهوية الوطنية والتي لا يمكن لأحد أن يحتكرها لذاته ويمنعها عن غيره من أبناء وطنه، وبالتالي فعلىنا أن نعلم نؤكد على ضرورة عدم تقسيم الهوية، وكمثال بيّن على المخطط الذي عملت عليه الحركة الكولونيالية منذ عهد الحروب الصليبية هو تقسيم العالم الإسلامي إلى هويات تخلق فيما بعد صراعا بين الطوائف، وهذا قد يحدث في الهويات ككل، فعلى سبيل المثال استُخدمت السياسة وأكاذيب الصراع في بلاد الأندلس لتقسيم قوتها وهو ما أنتج الممالك الصغيرة فيما عرف بعد ذلك بعصر ملوك الطوائف، فيما استخدم الدين والعرق ذريعة لتقسيم العالم الإسلامي في الشرق بصناعة انتماءات مختلفة دينيا فصار الحيلة في التقسيم هي الاختلاف العقائدي وربما وصل إلى الخلاف الفقهي فحسب، ومن هنا رأينا ظهور دويلات جديدة بحجة الدين والعرق، فصار الصراع عربيا فارسيا، وسنيا شيعيا، ومواليا خارجيا، وغير ذلك، وعلينا أن نعرف أن السبب الرئيس في ذلك هو الحكم حيث كانت البراجماتية سياستهم من الأزل، وأعانهم في ذلك النخبة ولاسيما رجال الدين لانصياع الشعوب

لإرادتهم، لذا فلا يجب أن نكتب تاريخنا لم يحدث وأن نقس الأشخاص وندفي عنهم غباءهم إن نفينا عمالتهم للأعداء، والفرق بين تلك المراحل من التاريخ ومرحلتنا هذه هو أن الخيانة بقيت في الطامحين إلى السلطة ولكنها ازدادت في النخبة وتوسعت وشملت فئات أخرى إلى جانب رجال دين السلاطين والحكام، والمفارقة الوحيدة هي الوسيلة فقط فكما كان الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العصور المتقدمة من تاريخنا وتوظيف أقواله وفق مقاس الخونة كونها كانت الوسيلة الأكثر تأثيراً، صار الإعلام بمختلف أنواعه اليوم هو الوسيلة في خلق الهويات الجزئية وتحويل المقومات إلى هويات من خلال إعطائها لقب الهوية، غير أنه علينا أن نعلم أن هذا الموضوع على خطورته إلا أنه يمكن تفادي أية محاولة لتشويه الهوية عن طريق الوعي الجماعي بالذات الجماعية للشعب، فخلق الهويات المتعددة ليس إلا لعباً بالعقل الجماعي لمجتمع ما ويتحقق نجاح الخطة لتدمير ذلك المجتمع بمدى قابلية المجتمع نفسه لتلك الأفكار وهذا نفس الأمر بالنسبة للاستعمار وهو ما يسميه مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار، والفرق الوحيد أن القابلية للاستعمار تكمن في قبول سيطرة الآخر غير

أن القابلية لتغيير الهوية واللعب بالعقل الجماعي للمجتمع بخلق هويات متعددة تنتج حربا داخلية وانقساماً في المجتمع نفسه وتدمير الوطن تدميراً ذاتياً بأيدي أبنائه.

ما ينتظر البلد اليوم هو ما ينتظر الشعوب العربية والإسلامية ككل، إما المزيد من الانقسامات الداخلية في حال لم تع الشعوب ضرورة معرفة مخططات العدو، وإما الوحدة التي لا انقسام بعدها، قال مالك بن نبي رحمه الله: "لكيلا لا نكون مستعمرين يجب أن نتخلص من القابلية للاستعمار"، بعبارة أخرى: حتى نكون أحراراً يجب علينا أن نفكر بعقل حر، ولست متفائلاً أكثر من اللزوم إذا قلت: أن عصر الثورات الواعية قد بدأ لبناء عصر الجمهوريات العادلة، وسنشهد كما قلنا دائماً سقوط الحكومات المستبدة وسقوط أمراء الممالك العربية، لتقوم أنظمة الحكم الجمهورية وفق ما يقدره العقل العربي الإسلامي⁵¹ سنشهد في تسارع تاريخي رهيب قيام اتحاد الجمهوريات الإسلامية، كل هذا سيكون بوعي

51 - نعي بذلك قيام أنظمة جمهورية تسير وفق مبادئ جديدة لحكم الشعوب لا وفق ما نراه من دعوى الأنظمة الجمهورية.

الشعوب لما تريده ولا يكون ذلك إلا بالحفاظ على الوعي الجماعي والسيطرة الذاتية على العقل الجماعي للمجتمعات الإسلامية ككل⁵²، لذا فعلى الشعب الجزائري أن يعي ثورته وأن يعي ويتوقع ما يمكن حدوثه، وهذا ما على الدول الأخرى أن تفعله أيضا، لأن عصر حروب الجيل الخامس عصر الحروب الفكرية ولن يكون للأسلحة دور إلا التهيب ما لم يتم التمرد على الثورة نفسها، فلن نجد الجيوش إلا وهي تناصر وتدافع عن مطالب الشعوب لوعي قواعده الجيش ككل وبعض قياداتها بنفس الوعي الجماعي ولأن حرب الجيل

52 - ما يجدر بنا التنبيه عليه هو أن عدوى الثورات سينتقل لزاما إلى الممالك الأوروبية سواء كانت ممالك حقيقية أو دولا تدعي الديمقراطية الزائفة التي نسميها بدكتاتورية الأقلية الحاكمة على شاكلة الولايات المتحدة الأمريكية، غير أن السياسات المتبعة عند الغرب تجعل من البراجماتية وسيلة لمحاولة إنقاذ دولها بالتالي فنحن نتوقع حروبا داخلية طاحنة وتمردا شعبيا لا نظير له في أوروبا لن تنجو منه إلا الدول التي تمارس الديمقراطية حقا ما لم تتورط في أزمات الممالك الأوروبية على شاكلة الجمهورية الفرنسية.

الخامس ليست حرب المدنيين فقط بل ستشارك الجيوش
ككل في تأكيد الوعي الجماعي للشعوب، لهذا فستكون
الهوية الوطنية لكل بلد هي الدرع أمام المخططات
الغريبة والخيانات الداخلية فيما سنشهد بعد سنوات
قليلة بزوغ شمس الوحدة.

وهم الإيديولوجيا في الثورة الشعبية

"علينا أن نحاول تعليم أطفالنا كيف

يفكرون بدلاً من بماذا يفكرون"

تشي جيفارا

كثيرا ما تصنع الإيديولوجيات ما أسميه بالوعي
الفئوي، ولكنه وعي جزئي يحمل قناعات لا تسمو إلى
التبني الشعبي لها، ولكن الإيديولوجيا نفسها تصنع
الثورات وتخلق المعارف كون الإيديولوجيا صانعة التفكير
الإنساني ومولدة الفلسفات، ولطالما اقتنعت في ذاتي أن ما
نسميه فلسفة ليس إلا تطرفا معرفيا تجاه فكرة ما أي أن
الفلسفة نفسها ليست إلا التفكير الإيديولوجي، لذلك
نجد كل صاحب إيديولوجيا معينة صاحب فلسفة تحصر
ذلك التوجه، ولولا الإيديولوجيا لما وجدت الفلسفات
من أصلها.

لعل هذه المقدمة قد تحز في المخيال الجماعي للشعوب، ولكنها صحيحة من الناحية النظرية للتفكير الفلسفي ولكنها أكبر خطأ قد يرتكبه العقل في التفكير المجتمعي، بعبارة أخرى الشعوب تنادي بـ **بوهيم الإيديولوجيات**⁵³، ليس إلا لأن الفكرة البسيطة التي يحملها المجتمع البسيط هي أن بروز الإيديولوجيا هو نفي العقل ذلك لغيره آليا، أو على الأقل طغيان الفكرة المتطرفة على الفكرة الشعبية، وإذا تكلمنا هنا عن الثورة فإن الإيديولوجيا وإن صنعت الثورات إلا أنها تصنع الثورة على الثورة أي تصنع ثورة فئوية تقسم الوحدة الثورية لشعب ما عن طريق صراع الأفكار التي تكون بدورها فعل الفرد وفعل المجتمع، لذا فالمجتمع في حالة الثورة ينهي كل القناعات الشخصية والفئوية بحيث لا

53 - نقصد بذلك أن الشعب ينفي الإيديولوجيا في داخله إذا لم يتعلق الأمر بقضية صراع مع الآخر الذي يعتبر خارجا عما يجمع ذلك الشعب، وإلا فإن الإيديولوجيا هي التي تحمي الذات المجتمعية بنفس الدرجة التي تكسرها إذا استغلها العدو ونشرها داخل ذلك المجتمع لتفكيكه بخلق إيديولوجيات متصارعة.

يتبنى خلال ثورته إلا الفكرة المجتمعية التي صنعت ثورته وهي في الجزائر بناء الجمهورية الثانية والتغيير السياسي من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية تحقيقا لمبادئ: الحرية، العدل، المساواة.

الحقيقة تقول أن الفكرة إذا خرجت من إطارها النسبي إلى إطارها المسلّم صارت إيديولوجيا، ومن المعروف أن الأفكار نسبية، وأن اليقين فيها لا يرقى إلى التوافق الجماعي حولها، فما هو نسبي عندنا هو يقيني في مجتمع آخر والعكس صحيح، كما أن الخرافي عندنا هو أمر مسلّم به عند مجتمع غير المجتمع الذي نعيش فيه ونحمل أفكاره، وهذا ليس عيبا في العقل البشري، بل هو في صميم الهندسة العقلية للبحث عن المعرفة والحقيقة، فإذا طبقنا هذا على ما نحن بصدده فعلينا أن نعلم يقينا أن المجتمع الثوري وإن نفى الإيديولوجيا ورفضها فإنه لا يفعل ذلك إلا لاستيلاء إيديولوجيا أخرى على تفكيره الجمعي⁵⁴، وبالتالي فهو أسير نفس ما يرفضه، ولكن

54 - ليس هذا تناقضا في الحكم على التاريخ الإيديولوجي للشعوب فالفارق هو أن الإيديولوجيا مرتبطة بفئة اجتماعية تعمم تلك الفكرة بينما الإيديولوجيا الثورية تنفي

الأمر الفريد في هذا أن إيديولوجيا المجتمع الثوري هي الإيديولوجيا التي تصنع التاريخ الحقيقي لا التاريخ المرحلي التي تصنعه الإيديولوجيات الأخرى، فالإيديولوجيات الفئوية تنفي بعضها، أي أن هناك صراعا إيديولوجيا حتميا هو المسؤول عن تدمير وإبقاء إيديولوجيات ما، ولكن البقاء لا يكون إلا للإيديولوجيا التي يتبناها الفكر الشعبي، وليس المعنى في هذا أن الأكثر تأثيرا على الشعوب هي التي تبقى في النهاية بل يكون البقاء للأكثر رسوخا في الفكر البشري حيث لا يكون قابلا للأفول، وقد رأينا أن الماركسية سرعان ما تلاشت بعد ذلك الزخم والتبني العالمي لمبادئها ولكن السبب في تركها من أغلب الشعوب هو أنها كانت عقيدة قابلة للنقد النظري والواقعي وبالتالي سهولة تلاشيها بمجرد وجود البديل.

هناك فكرة قد لا يوافقني عليها الكثير، وهي أن الفكرة التي تسيطر على مجتمع ما لا تعتبر إيديولوجيا داخله وإن اعتبرت على مستوى التفكير البشري تطرفا

الإيديولوجيات الفئوية وتلم شمل الشعب ككل في تحت راية واحدة يمكن تسميتها إيديولوجيا تجاوزا.

حقيقيا؛ كفكرة التدين، فيما نرى الطائفية في حقيقتها إيديولوجيا بكل المقاييس، ولهذا علينا أن نفهم أن فكرة الثورة الشعبية أو الجماهيرية تنفي كل الإيديولوجيات داخل المجتمع الثائر ذلك، وإذا تكلمنا عن المجتمع الجزائري فعلىنا أن نتيقن كما قلنا في كلامنا عن الهوية أن المجتمع الجزائري كباقي المجتمعات يحمل الكثير من مقومات الهوية فهو يحمل الكثير من مقومات التفكير الجماعي⁵⁵ والذي يضم الكثير من الإيديولوجيات التي تتحد في العقل المجتمعي للشعب الجزائري تلك الوحدة التي تظهر في سر الثورة الجزائرية من أجل تأسيس الجمهورية الثانية، ولكن الخطر وشيك في جعل الإيديولوجيا منفذا لتفكير الحراك الشعبي وبالتالي تشتت التفكير الجماعي وإذا كانت الأفكار هي التي تصنع الواقع فالخطر محقق في إبراز أفكار تصنع واقعا

55 - ونؤكد على مصطلح التفكير الجماعي أو المجتمعي لا الفردي، فالتفكير الفردي يبقى ذا قناعات شخصية بفكر ما وأما التفكير الجماعي فهو التنوع الفكري والترابط المعرفي داخل المجتمع ككل لبناء صرح العقل المجتمعي الذي ينتمي إليه الكل على مختلف القناعات.

منقسما ومتناحرا في سبيل إثبات الذات ونفي الآخر ذلك الآخر الذي لا يمثل إلا أبناء الوطن الواحد، قال علي شريعتي: "إذا أردت أن تخرب أي ثورة؛ فقط أعطها بعداً طائفيًا أو دينياً، وستنتهي إلى هباء".

على الشعوب أن تعي أن الحل الوحيد في إنقاذ تراها الوطني يكمن في نهاية الإيديولوجيات عن طريق سيطرة فكرة الوطنية والارتباط بالوطن على التفكير الشعبي لأي بلد كان، قال تشي جيفارا: "في حب بلادك، لا تكن محايداً، كن متطرفاً حتى الموت"؛ بهذا الشكل فقط يتحدد الهدف الشعبي وتنتهي الأفكار الفئوية، فالجتمتع يحمل الفكر الحصب البسيط، بينما لن تجد في النخبة إلا التطرف الفكري الذي ينفي كل ما سواه، ولهذا فإننا نؤكد على أن النخبة ولاسيما تلك النخبة التي خلقت بينها وبين الشعوب حاجزا فكريا لعدم التقبل - تلك النخبة- أخطر الأشياء على الثورات الجماهيرية لا سيما في بناء دول تنفي أو تُفقدُهم طموحاتهم التي تمثل صميم أفكارهم المتطرفة.

إن ما ينتظر الحراك الشعبي هو معركة الإيديولوجيات فإذا تم نفيها تمت السيطرة على مخططات

السلطة من الداخل والعدو من الخارج في اختراق الثورة وسوقها في خط ينافي الخط الثوري الذي قامت عليه، ومما يمكن أن يعمل عليه خبراء الأزمات في سرقة الثورة أو إفشالها هو اللعب على وتر العرق واللغة والدين، فإذا صان الشعب هويته الوطنية وتمت السيطرة على مفهوم العرق واللغة داخل المجتمع يجعلها مقومات للهوية الوطنية وركائز لها كان اللعب حتميا على وتر التنوع الفكري ولاسيما الدين من خلال التقسيم الطائفي من جهة والتمييز الإيديولوجي بين الأفكار الدينية والأفكار العلمانية من جهة أخرى، والحل الوحيد لتفادي ذلك هو صناعة فكرة جامعة تنطوي على الفخر بالتنوع الفكري داخل المجتمع وجعل ذلك التنوع ميزة إيجابية في تلاقح الفكر الجماعي وتطويره وبالتالي صناعة فكرة المجتمع الواحد كما نص على ذلك بيان الفاتح من نوفمبر: "احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني"، وهذا ما صنعه الحكام الرستميون في العصور الوسطى حيث تم بناء دولة ذات فكر مجتمعي واحد يستغل التنوع الثقافي والفكري لصالحه فنتج عن ذلك ميلاد مجتمع مثالي فكريا لم تستطع أية دولة صناعته.

زيادة على ما ذكرناه حول الإيديولوجيا يوجد باب آخر يمكن للعدو الخارجي أو العميل في الداخل أن يستغله لتشيت الثورة الشعبية وهو أن يستغل التاريخ الإيديولوجي لمن يمثل للعدو خطرا على مصالح، ويتمثل ذلك في إثارة بعض المواقف الإيديولوجية لشخصية ما حدثت في ماضي ذلك الشخص نفسه، بينما الحقيقة تقول أن تلك المواقف كانت مواقف مرحلية وليست فكرة مستمرة⁵⁶ وهنا يفقد الكثير من الوطنيين والثوار الشرعية حتى في الانضمام إلى الثورة لا لسبب إلا الإشاعة بدليل منتهي الصلاحية، وما يساعد على هذا هو الوسيلة الحربية نفسها في حروب الجيل الخامس والتي تتمثل في الإعلام والتواصل الاجتماعي، لأن مرحلة الثورة تحمل نسبة كبيرة جدا من الضغط على العقل المجتمعي والفردى وبالتالي:

● سيكون العقل الجماعي مصدقا لأي إشاعة

يثبت لها طرف دليل.

● سيكون العقل الجماعي بدوه عرضة للتوجيه

56 - نقصد هنا الشخصيات التي لا تمتلك تاريخا في الفساد

والنهب.

والقبول اللاواعي لما يردّه.

● سيكون العقل الجماعي هو الصانع للثورة
على ثورته أي هو نفسه سيكون المدمر
لثورته.

بل لعل الشعوب هنا ستلعب الدور الأكبر في تسهيل
مخططات العدو في تقسيم بلدانها أو احتلالها بحجة الحفاظ
على السلم أو استعمارها المسلح و المباشر.

لعلنا هنا ننوه إلى خطورة موضوع الإيديولوجيات
الأمر الذي على الشعوب أن تفهمه وتدارسه في حال
صناعة الثورة الشعبية، ذلك أن الثورة إذا بدأت ضمت
الجميع، على اختلاف الأفكار والمذاهب لاسيما إذا بدأت
بالفكرة المجتمعية كالفكرة حول القضاء على أزمة ما،
ولكن المشكلة تبدأ في لحظة بداية الوصول إلى الهدف،
فكما ضمت الثورة كل الإيديولوجيات فستظهر ملامح
تلك الأفكار بمجرد بداية الظفر بالمطلوب حيث ستتوجه
الأفكار المختلفة إلى صناعة فكرة مسبقة عن غيرها بحيث
تنفي كل الحلول التي تقتنع بها العقول الأخرى للمجتمع
نفسه أي أنها لن ترى الحل إلا فيما تمتلكه هي، وهذا ما
على الثوار أن يعملوا على تفاديته بل عليهم العمل على

توحيد المنهج عن طريق خلق منهج وطني يشمل كل ما داخل حدود الوطن من أشخاص وأفكار وأشياء، بعبارة أخرى على الثورة الشعبية أن تنفي كل الثورات الفئوية أي أن تنفي كل الإيديولوجيات لتحفظ في طريقها إلى آخر مرحلة من البناء الثوري بفكرة الوطن لا غير.

وصلنا هنا إلى سؤال قد يتمالك أي عقل إنساني ثوري :

● هل هناك إيديولوجيا تنهي كل

الإيديولوجيات؟

في الحقيقة الشعوب هي التي تنهي الإيديولوجيات لأن الإيديولوجيات تمتلك العقول المتطرفة والتطرف لا ينقض إلا على العقل أحادي التفكير بينما الشعوب بفرض الاجتماع الإنساني تمتلك العقل الجماعي الذي تلتقي فيه كل الأفكار في عقل متنوع ليكون مجتمعا واسعا متفتحا⁵⁷ عكس المجتمع الضيق المنغلق على نفسه،

57 - لا نقصد بالافتح الخروج من دائرة العقل الأخلاقي إلى نفي الأخلاق كما هو معروف في عصرنا فنفي الأخلاق (الافتح كما يسميه البعض) هو في حد ذاته إيديولوجيا خطيرة

فالإيديولوجيا التي ستنهي الإيديولوجيات هي
الإيديولوجيا التي تتقبل الآخر ولا تنفي أفكاره، فالمجتمع
الفاضل هو ذلك المجتمع البسيط الذي يقتنع كل جزء
منه بأن رأيه صواب يحتمل الخطأ بينما رأي الآخر خطأ
يحتمل الصواب.

لأنها حرية تسيء إلى حرية الآخر.

الثورة الشعبية وسقوط الأنظمة

"لا تثق بالبدايات ، فأصدق الكلام يقال
في اللحظة الأخيرة"

رينيه ديكارت

تكلمنا فيما سبق عن الثورة والشعبية وثورة
الأشخاص، وعلمنا أن الشعب إذا لم يحتضن الثورة مهما
كانت فهي آيلة إلى الزوال وإن كان الأشخاص قد
يصنعون ثورات شعبية حيث يبقى ذلك في سياق الفكر
الجماعي للشعب ككل، فإذا تحدثنا عن إسقاط أنظمة
الحكم فنحن نتحدث عن نوعين من الثورات هي:

- الثورة المسلحة.
- الثورة السلمية.

غالبا ما تكون عواقب الثورة المسلحة دموية تترتب
عنها خسائر قد تجعل من النظام الموالي في مهب ريح

ثورات أخرى لعدم قدرته على تسيير البلاد بعد ما تلاحقت نتائج الثورة الأولى عليه ، إلا أن يكون الثوار من قلب الجيش النظامي نفسه في حالة الانقلابات العسكرية والتي غالباً ما تكون خسائرها أقل بكثير من خسائر الثورة المسلحة ذات التعبئة الشعبية في قوات غير نظامية، والتي يطول زمنها، بل والتي قد تفشل من أساسها لأسباب كثيرة ليس هذا موضع تفصيلها، ولكن الجدير بالذكر أن الثورات السلمية للشعب وانتفاض الشعوب ضد حكامها أكثر الثورات خطراً على أنظمة الحكم من جهة سلميتها أولاً وسرعة الوصول إلى الهدف ثانياً بإسقاط نظام الحكم، والسري في ذلك هو عدم وجود السبب المباشر للعمل المسلح ضد المتظاهرين، فأي عمل مسلح من طرف النظام أو الجيش يُفقد النظام شرعيته وبالتالي تتحول صفة النظام العنيف من صورة الشرعية السلطوية إلى صورة التنظيم الإرهابي ما يعطي الشرعية لإسقاط النظام ككل⁵⁸.

58 - وهذا ما لم يحدث في الجزائر بفضل التحام المجتمع الجزائري شعباً وجيشاً ويكمن السر في ذلك كون الجيش الجزائري جيشاً شعبياً يحمل نفس العبء والتراكم التاريخي

علينا أن نعلم أن ردة الفعل لا تحدث إلا بفعل سابق وإلا لما سميت ردة فعل أصلا، ولهذا نقول: إن الفعل الشعبي يقرر بل ويصنع ردة فعل القوات المسلحة التي تعتبر حامية للدولة بكل مقوماتها، فالسلمية الشعبية في المطالبة بشيء ما تجبر الجيش على عدم ردة الفعل العنيفة بل وتجبره بشكل لاواعي على التعاطف مع الفكرة، فالفكرة التي يعمل بها العقل العسكري هو استعمال السلاح لرد الخطر فإذا انتفى وجود الخطر انتفى ذلك الفعل، كما لا ننسى أن الجيوش ككل ولا سيما الجيوش العربية هي من قلب الشعب نفسه وأبنائه، بالتالي فلا يجب أن ننسى ذلك الشعور بالانتماء المجتمعي ووحدة الشعور الجمعي بالواقع⁵⁹، لاسيما في القرن الحالي مع تكنولوجيا التواصل، والتي

للمجامع الجزائرية وبالتالي فهو يسعى إلى نفس الهدف من بناء الدولة العادلة المستقلة كليا عن أي وصاية أجنبية.

59 - كان الشعور الجمعي للمجتمع الجزائري شعبا وجيشا الدور الرئيس في توحيد الفكرة وهذا ما أنقذ الجزائر من الكثير من المؤامرات التي أرادت استغلال الحراك الشعبي وجره نحو الانقسام الإيديولوجي أو المواجهة وهذا ما يذكرنا بذلك الشعار المدوي "جيش شعب خاوة خاوة".

كسرت أوجه الاختلاف بين الفئات فلا فرق بين المدني والعسكري إلا البزة العسكرية فقط ويستطيع في لحظة ما أي جيش خلال غلبة الشعور بالمدنية أن يتزع البزة العسكرية وينظم إلى الثورة الشعبية هذا إذا لم ينظم فعليا إليها ببزته وسلاحه.

من المفترض أن يعي العقل السلطوي أن التغير التاريخي وسيرورة الأحداث في القرن الواحد والعشرين تفوق كل الاعتبارات الرقابية على الذهنية الجماعية لمجتمع ما لاسيما إذا كانت السلطة بعيدة عن التفكير والتسيير العلمي للمجتمع والتاريخ، لذا فما يجب فهمه هو أنه ليست الفلسفة ما يقوله الفلاسفة، ولكنها ما تتوافق عليه الشعوب، هي ذلك الشعور الجمعي بالفكرة، ومن هنا علينا أن نصرّح أن الشعوب اليوم لا تعيش في زمن حكامها ولا الحكام يعيشون في نفس زمن شعوبهم، يقول رينيه ديكارت: "من أكبر أخطاءنا أننا نفترض بأن الأشخاص الآخرين يفكرون بنفس طريقة تفكيرنا"؛ هكذا أخطأ الحكام، هناك الكثير من الاختلاف بين الطبقتين، بين المستبدين والمستضعفين، بين الحكام والشعوب، ولكن التطور الفكري في عصرنا يسير في

جانب المجتمعات، ليس لأنها أكثر معرفة بل لسببين هما:

- أن المجتمع يحمل مالا يحصى من الأفكار التي تتلاقح في وسط المجتمع .
- أن الفكرة البسيطة إذا تبناها مجتمع ما صارت أخطر من إعلان الحرب.

ما لا تعرفه النخبة الحاكمة هو أن الفكرة القديمة عن الشعوب وعن سياسة التحكم في التفكير الجمعي للمجتمعات قد تغيرت تماما، ليس لأن السلطة ونخص بها السلطة العربية على الخصوص بعيدة عن مجتمعاتها بل الغريب في الأمر أن التغير الذهني يحدث أمام أعينهم عن طريق التواصل المجتمعي للشعوب وسهولة معرفة الأفكار وتصنيفها، بل وتصنيف الحاكم نفسه بحسب سياساته تجاه شعبه، ليس هذا فحسب، بل كما أشرنا من قبل صارت السلطات الحاكمة في المجتمعات العربية المسؤولة الأولى عن صناعة الوعي الشعبي عن طريق التاريخ الذهني للمجتمع وأفراده والنقد التاريخي للواقع والأزمات التي قهروا بها شعوبهم، فالأزمة التي يصنعها الحاكم هي الركيزة الأساسية في تغيير الذهنية العامة للشعب.

إذا فهمنا هذا فهنا بشكل آلي أن طريقة التحكم في

الجيش اليوم تمر بنفس شكل التغير للتحكم في الشعوب؛ خاصة وأن هذه الجيوش جزء لا يتجزأ من مجتمعاتها، وبالتالي فإن التغير الذهني واكتساب الشعور العام الذي يمثل تاريخ المجتمع هو نفسه ما يحدث داخل العسكري ومجتمعه حذو القذة بالقذة، لاسيما إذا تكلمنا عن جيش نظامي كالجيش الجزائري الذي لا ينفك عن جزائريته ووطنية باعتبار كل عسكري منه مواطناً من أوساط الشعب البسيط، هذا إذا ذكرنا العسكريين العمال فقط، وإلا فالشعب الجزائري يعتبر بأكمله عسكرياً تلقى تدريباً عسكرياً في ثكنات الجيش النظامي وفي عمق المناطق العسكرية الأكثر حساسية، وبالتالي نقولها بكل صراحة: الجيش هو من صنع الثورة على النظام الفاسد في الجزائر⁶⁰، وهذا هو السر في شعار أن الجيش والشعب إخوة، لأن الفرق الوحيد بين العسكري والمدني في الجزائر هو السلاح الذي سيحمله المدني آلياً

60 - نعي بذلك الشعب نفسه الذي يمثل القوة الاحتياطية التي خدمت داخل المؤسسة العسكرية كقواعد شعبية لحماية الوطن إضافة إلى جنود الجيش الوطني الشعبي والذين يمثلون الشريحة الأوسع من المؤسسة إضافة إلى اعتباره الجزء الأكثر شعوراً بمعاناة الشعب ككل.

مع أي تهديد خارجي للتراب الوطني، ولعل هذا يوضح لنا بجلاء فكرة الهوية الوطنية في مواجهة الهويات لأنها الوحيدة التي يتبناها العسكري والمدني بمجرد حاجة الوطن إلى أبنائه على اختلاف أفكار المجتمع ككل.

لا ينكر أحد على وجه الأرض أن وظيفة الجيوش حماية ترابها الوطني بكل ما يحتويه، ولكن الراحة العقلية من التفكير في الخطر الخارجي على الوطن يصنع تفكيراً آخر مسائراً تماماً للتغير المادي للدولة سواء التغير المادي للشعب ككل أو لأفراد معينين لا بد وأن يكونوا من المتمكنين في دواليب السلطة.

علينا أن نعلم أن هناك نوعين من تغير مهمة الجيوش:

- أحدهما هو الانتقال من حماية الوطن إلى الاعتداء على أوطان الآخرين وهذا ما نراه كثيراً في الدول الكبرى في عالم اليوم وهو أحد أسلوبين هما: تصدير الأزمات الداخلية إلى الخارج، أو حماية الوطن عن طريق القضاء على من يمثل تهديداً.
- وأما الثاني فهو الانتقال من حماية الوطن إلى حماية النظام الحاكم دون الشعب وهو ما نراه

في الحكومات العربية وغيرها من دول العالم الثالث ولاسيما الممالك، حيث تكون الجيوش وسيلة في أيدي جماعة السلطة الحاكمة وسببه توجس الخوف من شعبها، ولا يكون ذلك إلا لاعتبارين نفسيين هما: أن هؤلاء الحكام يعترفون في أنفسهم بالفساد، إضافة إلى اعترافهم بعدم الكفاءة على التسيير الراشد بحيث يعترفون بظلمهم للشعب، وبالتالي توريث الجيش في المصالح الشخصية، فإذا تحولت مهام الجيش من حماية الوطن إلى حماية الحاكم صار لزاما تحول الحاكم هنا من صفة حاكم الدولة إلى صفة العصاة أو ما نسميه صفة التنظيم الإرهابي⁶¹، حيث يكون الجيش هنا أداة

⁶¹ - هذا ما لم يرضه الجيش الجزائري لنفسه، ومن هنا رأينا طيلة العشر أشهر السابقة لانتخابات 12 ديسمبر 2019 المؤسسة العسكرية وعلى رأسها قائد أركانها الفريق أحمد قايد صالح يصرح بقوة التزام قيادة الجيش رفقة الجيش الوطني الشعبي ككل بمهامه الدستورية وعدم الحيدة عن ذلك وبالتالي الالتزام بحماية الوطن والشعب من أي تهديد، وعلى هذا الأساس صحت تسمية العصاة على من أراد توريث الشعب

للمحماية بعبارة أخرى تتحول صفة الجيش من
صفة الحامي إلى صفة المرتزق وهذا مالا يرضى
به الجيش الجزائري والجيش الشعبي التي سرعان
ما تتحول من الصمت المسامر للأوضاع إلى
الثورة على الحاكم من خلال مناصرة الشعب
المطالب بتنحيته⁶² ولا سيما إذا كانت الثورة
محتضنة من طرف الشعب ما يعطي شرعية
شعبية للجيش بالثورة على الفساد
السلطوي⁶³.

لظالما كان الاستبداد بالسلطة ليس إلا نتيجة
لسيطرة فئة قليلة صاحبة قرار على مراكز القرار في

الجزائري في مؤامرة تكسر وحدته.

⁶² - هذا عينه ما حدث في الجزائر من استنقاذ الوطن من
برائن مخططات مدمرة بالتعاون بين الجيش والشعب في خضم
الحراك السلمي الجزائري الذي أبهر العالم.

⁶³ - ويظن الفساد السلطوي فساد الحكم والقرار والمال
والإدارة باعتبارها أصنافا تكاملية للفساد داخل منظومة الحكم
ككل.

الجيش⁶⁴ بطريقة ما تختلف باختلاف الأساليب، وبالتالي يكون الجيش وسيلة الاستتواء والسيطرة على الرأي العام عن طريق مبدأ القوة وهذا وإن كان سهلا في العقود الماضية عن طريق البعد التواصلي داخل المجتمع إلا أن من أساليب حروب الجيل الخامس هو تقريب المفاهيم الشعبية إلى العسكري البسيط المرابط على الحدود وبالتالي كسر ذلك الحاجز القائم بين المواطن والجيش وهنا يستطيع المجتمع بناء أفكار موحدة حول الوضع السائد في البلاد بحيث لا تكون الثورة بمثابة الصدمة للعسكري البسيط كما تكون لأصحاب القرار بل المؤكد والذي لا شك فيه أن العسكريين البسطاء ونقصد بهم الجنود المرابطين كانوا من صناع الثورة إلى

64 - هذا ما حدث في بعض الدول العربية وهو الأمر الذي كان سيحدث في الجزائر لولا حراك 22 فيفري الذي رافقه الجيش الوطني الذي لا يجمع أي ولاء لفرنسا وبالتالي انهاء الوصاية الخفية والاستعمار الأبيض الذي صنعه فرنسا في الجزائر عن طريق تنصيب ما يسمى ضباط فرنسا، غير أن وحدة الشعب الجزائري للتخلص من العصابة الحاكمة التابعة لفرنسا هو ما أنقذ الجزائر من الوقوع في سيناريوهات غيرها من الدول.

جانب الشعب.

علينا أن نعلم بكل يقين أن الانفجار الشعبي والثورة ضد السلطة القائمة في أي دولة كانت إنما هو وليد أزمات متراكمة في الذهن الجماعي للشعب، ولكن هذه الأزمات لن تصنع وحدة النهوض ضد النظام مع وجود كل أسبابه إلا بوجود القطرة التي تفيض الكأس والتي تكون أزمة يشعر من خلالها الشعب ككل مدنيين وعسكريين دون استثناء بالخطر المحقق والحتمي، ومجرد النظر في تاريخ الثورات في دول العالم عبر مراحل التاريخ يوضح ذلك تماما، وبما أننا نتحدث هنا عن المثال الراهن المتمثل في ثورة الشباب الجزائري فالأزمة التي صنعت كل هذا والتي نعتبرها القطرة التي أفاضت الكأس هي أزمة إلغاء الدستور والدوس على مقرراته رغم كل ما فيه من نقائص، لهذا ورغم كل الأزمات التي حركت الشعب إلا أن الشعور الجمعي ومفهوم الأزمة في الجزائر جعل الشعب يتوحد ذهنيا حول قضية أن إلغاء الدستور وعدم العمل بموجبه يفسر كل الأزمات التي يعيشها ولهذا نادى الشعب بمغادرة العصا بذلك المصطلح الذي يدل على وجود جماعة من الأشخاص تسير البلاد

وفق ما يناسبها فإذا مرت هذه المرحلة غير الدستورية دون رفض الشعب لها فهذا يعني أن الشعب في مهيب الريح التي ستعصف بالبلاد، فتكون الأزمة من أصلها أزمة دستور⁶⁵ وبعبارة أخرى المشكلة هي الخروج عن

65 - علينا أن نعلم أنه المؤسسات في طريق تغييرها من النظام الجمهوري إلى الديكتاتورية تستغل الدستور وقد تقوم بمخالفته تماما كما رأينا ذلك في أكذوبة تمديد العهدة الرابعة لعبد العزيز بوتفليقة، ولكن ما رأيناه خلال هذه الأيام من تفعيل المادة 102 من الدستور الجزائري ليس إلا محاولة للعب على وتر الدستور نفسه، أو جس نبض الحراك الشعبي في الجزائر من خلال إعطاء الشرعية لتدخل الجيش، ولكن السلطة تناسلت الفكرة الشعبية الأولية التي أخرجته إلى الشارع مطالباً بإسقاط العصاة (النظام) ألا وهي مخالفة الدستور أو الدوس عليه بعبارة أخرى، وما تناساه المطالبون بتطبيق الدستور وفق ذلك المنطق هو المخيال الجماعي للشعوب والذي يقول أن فكرة ما إذا انتفت عن العقل الجماعي فإنه لا يستطيع استرجاعها إلا وفق شعوره بكسرها، بمعنى أن القضية عندما تغيرت من المطالبة بعدم ترشح بوتفليقة لعهدة خامسة إلى إسقاط النظام بعد الدوس على الدستور فإن الشعب لن يتقبل فكرة تطبيق الدستور نفسه بأيدي من يطالب بتنحيهم لفقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم، وبالتالي فالحل الوحيد هو تجاوز الدستور

القانون والذي خرج عن القانون هو النظام نفسه، لهذا فلا عجب أن نقول أن من أثار الشعب هو السلطة نفسها بخروجها عن الإرادة الشعبية وانقلابها على الدستور وهنا يصح إطلاق لفظ العصاة على من خرج على الشعب الذي يمثل السلطة الحقيقية في البلاد وألغى الدستور الذي يمثل وثيقة الصلح بين الشعب والنظام، فغريزة الدفاع عن الذات لا تظهر إلا بالتوجس من الخطر، والخطر هنا هو خروج النظام عن الإرادة الشعبية، فالفرق الوحيد بين الشعب والحاكم أن الحاكم ذو صلاحيات قدمها له الشعب لخدمته لا ليتسلط بها عليه، يقول جون جاك روسو: "هناك سلطة تحكم، ومحكوم يطيع، نشأ بينهما عقد اجتماعي يفرض بأن يقوم كل منهما بواجبه، فإذا أخلَّ فريق بواجبه حق للآخر

والانتقال إلى سلطة الشعب لأن الفرق بين الفرد والمجتمع هو أن الفرد قد يستعيد الثقة في الآخر بينما المجتمع تحكمه الفكرة الجماعية لا الفكرة الشخصية وبالتالي فنحن أمام أزمة النظام نفسه وهذا ما سيؤدي إلى حل المؤسسات التشريعية والدستورية تلقائياً عن طريق نفي المجتمع لها وأما الحل فلن يكون إلا بدستور ثوري يصادق عليه الشعب نفسه وبتفعيل السلطة القضائية واستقلاليتها تماماً عن المؤسسات الأخرى.

فك العقد والثورة"؛ إذا فهمنا هذا علمنا يقينا أن العصاة قد ألغت النظام الجمهوري وبدأت تمارس دكتاتورية من نوع جديد، فمعركة الجزائر اليوم معركة دستورية لبناء سيادة القانون التي تمثل سيادة الدولة⁶⁶ والتي تتبعها عدة معارك في الفكر والاقتصاد من أجل صناعة التاريخ لا مسايرة حتميته، فالمعركة ضد الأنظمة المستبدة قد تكون أسهل بكثير مما يعقبها من معارك التحرر من التبعية، "معركة التحرر الاقتصادي أصعب وأشق من معركة التحرر السياسي" هكذا قال الراحل هواري بومدين، وهكذا علينا أن نفهم ما نحن مقدمون عليه.

إن فكرة التحرر من الاستبداد ليست فكرة إيديولوجية خلقها تفكير جماعة من الناس، فالثورة والتحرر فكرة إنسانية، ارتبطت بكل الشعوب، بجميع

⁶⁶ - يعني هذا إسقاط كل القوى غير الدستورية سواء القوى الداخلية أو القوى الأجنبية التي تتحكم في الدولة وبالتالي المعركة معركة إسقاط النظام وتغييره تماما الأمر الذي سيفتح عدة جبهات داخلية وخارجية على الشعب مقاومتها فكريا بحسن التعامل وعمليا بالوحدة ولم الشمل والمحافظة على التراب الوطني.

البشر.

خلال المراحل الأولى من التاريخ الأمريكي صنع
لنكولن مبدأ جديداً في العلاقة بين النظام والشعب
الأمريكي حيث قال أنه "من حق الشعب أن يغير الحكومة
بالطرق الدستورية فإن لم يستطع ذلك فله أن يغيرها
بالقوة"، ولكن علينا أن نفهم الفرق بين المرحلتين مرحلة
لنكولن ومرحلتنا نحن خاصة وأنها في عالم ثالث لا يعترف
بسلطة الشعب أولاً، ويتحين الغرب أي صدام ليلعب
على رقعة الشطرنج ثانياً، وعلى هذا فإننا نؤكد على
التغيير الدستوري لسياسة البلاد وهذا طبعاً لا يكون إلا
بدستور غير قابل للمساس ولا للتعديل، وأما القوة فهي
قوة المطالبة السلمية والتعبير عن الرفض المطلق لسياسة
البلاد لاسيما ونحن في مرحلة ثورات الابتسامة⁶⁷، والتي
لا تستطيع أنظمة الحكم أن تبرر عمليات العنف ضدها،

⁶⁷ - "ثورة الابتسامة" هي عبارة رفعتها إحدى النساء
الجزائريات في لافتة خلال الحراك الشعبي في الجزائر، كما قد
تسمى أيضاً بـ "ثورة البهجة" بسبب المساهمة العظيمة لأغاني
البهجة في الملاعب الجزائرية والتي كانت تحمل أفكاراً شبانية
توعوية.

فإذا ما استخدمت حكومة ما القمع⁶⁸ ضد الثوار الجدد فقد نزعت عن نفسها هالة الشرعية للحكم نهائياً وصار وقوعها تحت طائلة العدالة حتمياً باعتبارها عصاة منظمة، والتي سيكون من واجب الجيش التعامل معها وفق الإرادة الشعبية، ما على الحكومات أن تعلمه أن التسلط على من حولها الحكم خروج على الإرادة الشعبية وفقدان لشرعية الحكم بحكم مخالفة الدستور، وهو ما نسميه بالخروج على الجماعة التي هي الشعب.

⁶⁸ - بطبيعة الحال لا يكون القمع إلا بأحد شكلين: إما تدخل الجيش لقمع الشعب وهذا مستبعد في بلدنا لوعي الجيش بالواقع التاريخي وبالمسؤولية الدستورية المنوطة به، وإما بعناصر مرتزقة تُقحم داخل الجيش لقمع الشعب من جهة ومحاولة الإساءة إلى سمعة الجيش تحسباً لانقلابه على العصاة وبالتالي تشويه صورة الجيش في المخيال الجماعي للشعب.

خاتمة

"حيث تكون الحرية يكون الوطن"

بنيامين فرانكلين

لعل ما أشرنا إليه في هذه الرتوشات التي ترسم صورة أكاديمية تفسيرية بعض الشيء⁶⁹ للبعد الذي دخله المجتمع الجزائري؛ عن طريق تغير الذهنية الجماعية وتغيير طريقة التفكير من التفكير الموجه إلى التفكير الذاتي، حيث استعاد العقل الجزائري حرية تفكيره بعد أن اختطفها منه

⁶⁹ - لا ندعي أن ما قلناه يقيني غير قابل للنقاش أو النقد فالتفسيرات السيوسولوجية والتاريخية على الدوام تبقى محل خلاف وتضارب آراء، على أن الخلاف لا يفسد للود قضية، والهدف هو محاولة فهم العقلية الجزائرية وبث روح الوحدة والتضامن والحذر من المخططات الخارجية لزعزعة الاستقرار.

من كان يفكر مكانه ويطالبه بتبني ذلك المسخ من رصيد العقل المستبد.

لسنا في عهد ولا في عقلية بوسويه الذي كان يقول أن سلطة الحكومة مستمدة من الله، وأن الله وحده من يحاسب الملوك، وأن الملك غير مسؤول أمام شعبه.

ما على العقل المستعمر إلا أن ينفي عنه فكرة الاستعمار ويخلق في نفسه عالماً من النقد يوصله إلى الحقيقة، عالماً من معرفة المعروف ونقد المنكر لتصحيح الواقع وصناعة التاريخ.

إن التفكير الثوري تفكير متجدد ينبع من صفاء الذات إذا ما كان العقل في وطن يؤمن بالحرية وينشر العدل ويحفظ المساواة، فالثورة التي تبدأ بتغيير النفس التي تمثل الذهنية وتمر بتغيير الواقع إلى ما هو خير مما هو فيه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يمثله الرفض الشعبي لدوس الإرادة الشعبية، عليه أن يواصل المسير نحو ثورته في تصحيح المفاهيم وخلق الأفكار الذي يمثل الإصلاح وإعمار الوطن.

إن إعلان حرب التغيير يستوجب الإعداد للكثير من

المعارك، قد نتصر في التغيير السياسي ولكن معارك المعرفة والتعليم والقيم والبناء والنهضة ستكلفنا سنوات عجاف للوصول إلى بر الغيث لصناعة التاريخ الذي عاشه أجدادنا ولم يبق لنا منه إلا أن نفخر به من خلال تلك الحروف التي تُخطّ على صفحات الكتب القديمة.

لا نريد العودة إلى الازدهار فالازدهار لا يكون إلا بالمضي أماما، ولا نريد التفكير على أسس مجتمعات لا تعيش واقعا ولم نعيش واقعا، لا نريد من الماضي إلا تحقيق ما لم نستطع من سبقنا تحقيقه.

الكثيرون ماتوا من أجل أن يعيشوا التغيير ولكن الله يأبى إلا أن يعيشه أحدهم بآماله ويعيشه آخر بآلامه ويعيشه غيرهما بصناعته.

ربما تمثل هذه الملاحظات فكرة تدور في عقول الكثيرين وأحداثا مرت على الأكثر منهم، فالجتمع مجموع أفكار أفراد، تلك الأفكار التي وإن افرقت في مفاهيمها إلا أنها تجتمع لتبني شعوبا بأسرها تصنع عقلا واحدا يريد أعداؤها تدميره ليصبح التفكير تفكيرا فردانيا نائيا عن العقل الجماعي، حيث يصبح من السهل خلق مجتمعات متعددة كانت قبل ذلك بقليل مجتمعا واحدا يمثل الأمة.

«فلسفة الثورة:
رؤية من واقم المجتمع
الجزائري لتأسيس الجمهورية
الجميعة» الكتاب الذي صنف كأول
كتاب تنظيري في الفلسفة السياسية
والتاريخ عن الحراك الشعبي والثورة
السلمية في الجزائر أو ما يعرف بـ
«حراك 22 فيفري»

يمثل «فلسفة الثورة» الرؤية الفلسفية لحركة التاريخ
السياسي والاجتماعي في الجزائر بما حمله من نظرة استشرافية
لكل ما حدث ويحدث منذ «حراك 22 فيفري» بحيث كان
الورقات الوحيدة التي كشفت بوضوح كل ما جرى وراء
كواليس التفكير الفردي والجماعي في الجزائر وخارجها من
خلال ما قصمه المؤلف من تحليلات وتصورات وحلول لأزمات
مقصودة تهدف إلى التحكم في الوعي الجماعي للشعب
الجزائري.

منصور بختي دحمور

(الماسح الديني من الوثائق المصنفة)



منشورات زخمة الشعب